سلسلة رجل المهام الصعبة

٢٤

أسوار الموت





سلسلة

رجل المهام الصعبة

المغامرة الرابعة والعشرون

أسوار الموت

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٥



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً : دار جيلاب - تلكس : ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان «جيمس بوند» هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

أكاديمية «الموساد»

يقع مبنى أكاديمية الموساد خارج «تل أبيب» فوق أحد التلال الصغيرة، وهو يشرف من مكانه المميز على عدة طرق متجهة من «تل أبيب». مما يعطيه موقعاً متميزاً يستحيل معه مفاجأة حراسه أو الموجودين بداخله بأي حال من الأحوال.

وبداخل الأكاديمية كانت تجري عادة عمليات تأهيل المجندين الجدد لكي يصبحوا مؤهلين للانضمام إلى الموساد فيما بعد.. وفي العادة كان يتم انتقاء هؤلاء المجندين بعناية.. وكانت أهم الشروط أن يكون المجند بلا قلب.. بلا مشاعر.. بلا أدنى إحساس للرحمة.. وولاؤه الكامل «الموساد» و«إسرائيل».

وحتى المجنَّدات كان هناك نوع من التدريب الخاص بهن داخل الأكاديمية.. وبالإضافة إلى عمليات التدريب العادية على

وسائل المطاردة والتخفي وإطلاق الرصاص.. كان هناك نوع خاص من التدريب، يمارس في حمام السباحة الكبير الذي يقع خلف المبنى.. لتصبح بعده المجندة مهيأة تماما لاستخدام كل مواهبها.. في عملها.. وفي العادة فان من يختبر تلك المجندات ويعطيهن شهادة صلاحية للقيام بتلك المهام.. كانوا هم كبار ضباط وزارة الدفاع الإسرائيلية.. أما المكان المفضل لهم لإجراء تلك الاختبارات فكان.. حمام السباحة!!

وفي المعتاد كانت الدراسة في مبنى الاكاديمية تنتهي قبل العاشرة مساء.. ولم يحدث أن أضيئت أنوار المبنى الكبير بعد منتصف الليل وحوت الطرقات والأسوار هذا العدد من الجنود المسلحين وضباط «الشاباك» (إدارة الأمن الداخلي) وحتى ضباط «الشين بيت» المسئولين عن مكافحة الجاسوسية والأمن الداخلي..

وكان معنى وجود كل هؤلاء الضباط في ذلك المكان هو حدوث أمر جلل لم يحدث من قبل..

وبالتأكيد فإن هذا الحدث لم يكن ليتكرر بعد ذلك ولو لسنوات طويلة قادمة.. فما كان لأحد من «الموساد» أو «الشين

بيت » أن يتوقع أبداً أن يكون ذلك العميل المصري الذي تخفّى على شكل الكولونيل « موسى كنعان » هو ذاته رجل المهام الصعبة.. أعظم رجال المخابرات المصرية في تاريخها.. والبطل الذي تسبب في عشرات الهزائم « للموساد » من قبل في صراعات مريرة معها..

ولأجل هذا.. لم تكن تلك الليلة عادية أبداً.. بقدر ما كان العميل الذي سقط غير عادي.

وفي داخل أحدى حجرات الأكاديمية كان يجري مشهد ساخن.. مشهد استجواب رقم (٧٠٠).. أو ما يطلقون عليه في أوساط المخابرات العالمية.. رجل المهام الصعبة!

كان الجنرال « شامير موداعي » لا يزال مطبقا بأصابعه على القناع الذي انتزعه من فوق وجه ماجد، وهو لا يزال يغمغم مذهولاً مثلما حدث تماما منذ نصف ساعة عند سقوط ماجد في أيدي قواته: إنني لا أكاد أصدق أننا تمكنّا أخيراً من اقتناص هذا الصيد الذي سعينا خلفه طويلاً: لقد سقط هذا المصري في أيدينا دون أن ندري أنه صيد كبير جداً.. أكبر مما تخيلنا آلاف المرات.. وبالرغم من خسارتنا في ذلك الحريق الذي

اشـتـعل في مـبنى الموسـاد والتـهم نصـفـه على الأقل، إلا أنه خسارة قليلة بالنسبة لضخامة الصيد!

وأطلق ضحكة عالية صاخبة، ومديرا «الشاباك» و«الشين بيت» يتبادلان الابتسام في انتصار، على حين كان هناك عدد من الضباط المسلحين وقفوا وهم يصوبون مدافعهم الرشاشة إلى ماجد، بالرغم من أنه كان مقيد اليدين من الخلف ولا يحاول إبداء أي مقاومة.. والضوء الساطع المصوَّب إلى وجهه مباشرة يكاد يعميه، من الرؤية، وقد جرّده أعداؤه من كل أسلحته وأدواته بعد تفتيش دقيق، فصار في مأزق لا يحسد عليه!

وتوقف الجنرال شامير عن الضحك بغتة وسدد أصبعا في وجه ماجد وعيناه تقدحان بالشرر وهو يقول: لقد أخطأ رؤساؤك بإرسالك إلى عرين الأسد هذه المرة.. أخطأوا خطأً فاحشاً.. وسيدفعون الثمن غالياً جداً..

ومال برأسه على ماجد وعيناه تقدحان شرراً وواصل في صوت كالفحيح: هل ظننت أنك ستخدعني وأنت تقوم بدور هذا الكولونيل الأبله حتى لو كنت قد استطعت التنكر بنفس ملامحه؟

وأطلق ضحكة قصيرة وهو يضيف: لقد أخطأت خطأ لا يقع فيه أي جاسوس مبتدئ، وهو التباهي بما لديك من معلومات، دون أن تدري أنك أسقطت نفسك في الشرك دون أن تعرف.

أغمض ماجد عينيه للحظة، فسأله الجنرال شامير مزمجرا في قسوة: هل آلم الضوء القوي عينيك؟

فتح ماجد عينيه وهو يجيبه ساخراً: بل أردت إراحة بصري قليلاً من رؤية سحنتك القذرة حتى لا أصاب باكتئاب لا شفاء منه!

أمسك الجنرال ماجد من ياقة سترته في غضب عنيف وصاح به: أيها الوغد.. إنك تتحدث كما لو كنت أنت الذي تصوب مدافعك الرشاشة إلى رأسي.. ولعلك لا تزال في ذهول من اكتشاف خدعتك وسقوطك بين أيدينا، بحيث إن إشارة واحدة مني كفيلة بإطلاق ألف رصاصة إلى رأسك.. ووقتها لن تعاني من أيّ اكتئاب.

هز ماجد رأسه بنعم وفوق شفتيه ابتسامة ساخرة وقال: أنت

على حق أيها الجنرال، وستكون تلك مناسبة جيدة أحتفل بها بتخلّصي من صحبتك القذرة!

مال الجنرال على ماجد وهو يحدق فيه بسحنة كريهة وغمغم في صوت كالفحيح:

ـ نعم.. قد تتخلص من صحبتي.. ولكنك ستحتفل بذلك في الجحيم أيها الشيطان المصري.. ولقد أقسمت أن شمس الصباح لن تشرق عليك وأنت حي.. ولم يحدث أن حنثت بقسمي من قبل.

مط ماجد شفتيه وواصل بنفس السخرية: إن لك أخلاقا عالية كما ترى.. والآن لماذا لا تأمر رجالك بإطلاق رصاصاتهم عليّ، ثم تسرع إلى منزلك فإن «جيلينا إسحاق» فتاة الليل التي اصطدتها من مكانها المفضل على ناصية شارع «سمولين سكين» قد فات موعدها، وهي تنتظرك منذ ساعة لتمتعك ككل ليلة وأنت ترقد جاثيا على قدميك وتقبل أصابع قدميها لتمنحك رضاها أيها الجنرال القذر؟

تفصد عرق غزير على وجه الجنرال شامير.. كان آخر ما

يتوقعه هو أن يكتشف إنسان ما علاقته بفتاة الليل «جيلينا»، وخاصة أن يكون هذا الشخص هو رجل المهام الصعبة.. وكاد يجن تلك اللحظة لأن سره قد انكشف بمثل تلك السهولة أمام ضباط ومديري الأفرع الأخرى للمخابرات!

وبلل الجنرال شامير شفتيه الجافتين.. وتبادل مدير الشاباك والشين بيث نظرة خاصة وتظاهرا بأنهما لم يسمعا شيئا.. فقد كان لكل منهما.. فتاة الليل الخاصة التي التقطها من مكان ما بأحد أزقة «تل أبيب»!

وقال الجنرال في صوت رهيب لماجد: لن تطول حياتك كثيراً أيها المصري لتثرثر بتلك الأكاذيب و.. الآن أخبرني بسرعة أين أخفيت تلك الوثائق التي سرقتها من خزانة مكتبي.. لقد فتشناك ولكننا لم نعثر عليها معك، وفتشنا كل الأماكن التي وطأتها بقدميك بعد حصولك عليها، ولكننا لم نعثر عليها أبداً.

أجابه ماجد ساخرا: حسنا.. لماذا لا تستدعي تلك العرَّافة التي تذهب إليها أحيانا في «حيفا»، لكي تخبرك بأماكن بعض

الهاربين بواسطة بلورتها السحرية، ثم تدَّعي بعدها أنك قبضت على الهاربين بناء على تحريات شديدة من رجالك؟

تفصد العرق اكثر على جبهة الجنرال وحزَّ على أسنانه في حذر.. وتبين لأول مرة أن عدوّه أخطر مما يعتقد.. وأنه لو استمر في ذلك الاستجواب لتكشفت كل أسراره.

زمجر في غضب وحشي: إلى ماذا تهدف أيها المجنون.. إنَّ ما تبقى من حياتك دقائق قليلة ولا تعتقد أن ما تقوله سيفيدك بشيء... والآن أخبرني أين أخفيت تلك الوثائق وإلا أمرت بقتلك.

هزَّ ماجد كتفيه في سخرية قائلاً: ما دمت سأموت في الحالتين، فأنا أفضل أن أموت دون أن أخبرك بما تريد، لكي أضمن أن أتركك في حالة من القهر والغيظ ستقضي عليك قبل أن تشرق شمس الصباح، فتلحق بي سريعا في العالم الآخر، وأسوأ ما في الأمر أنني سأكون هناك مضطرا لرؤية سحنتك بعض الوقت!

صاح الجنرال في غضب جارف: أيها الوغد.. هل تظن أنني أهزل، سوف أريك أنني جاد حقاً فيما أقول.

وبإشارة من يده، انقض الضّباط المسلحون على ماجد في عنف..

وهوى أولهم بمؤخرة مدفعه الرشاش على رأس رقم (٧٠٠)، ولكن ماجد تحاشى الضربة العنيفة وطارت قدمه لتصيب وجه الضابط، فقذفت به الضربة ليصطدم بالحائط، وتحاشى لكمة الضابط الثاني، وطارت قدمه أيضاً لتصيبه في معدته فتقوس على نفسه في ألم حاد.

ولكن أحد الضباط انقضَّ على ماجد من الخلف وشل حركته، وهوى آخر برأسه فوق رأس ماجد في عنف بالغ، واندفعت قبضة ضابط ثالث إلى معدته..

وتوالت الضربات على ماجد، وأخيراً هوى أحدهم بمؤخرة مدفعه فوق رأسه.. وترنح ماجد والدماء تسيل من رأسه وتغرق ملابسه..

وأشار الجنرال فانقض الضباط على ماجد وأجلسوه عنوة على مقعد حديدي في ركن الحجرة، وأوصلوا بقدميه ويديه المقيدتين بضعة أسلاك كهربائية..

وضغط الجنرال زرا في الحائط.. وفي الحال انتفض ماجد



بشدة وازرق لونه وارتعد جسده بعنف والكهرباء تسري في جسده وتصعقه بلا رحمة..

وأوقف الجنرال الكهرباء وراقب ماجد، وقال له وأصبعه تتهيأ للضغط على الزر الكهربائي مرة ثانية: هل ستعترف أيها الشيطان أم أقوم بحرقك حياً؟

أجابه ماجد في صوت جريح: إن الموت أهون لديَّ أيها القذر.. ولن تنال ما تريد أبداً.

وضغط الجنرال على الزر الكهربائي، فانتفض جسد ماجد مرة أخرى والتيار الكهربائي يكاد يشويه شياً.. وأحس أن عينيه تكادان تخرجان من محجريهما. وازرق جسده فصار بلون الحبر، ولكن أصابع مدير «الشين بيت» امتدت في اللحظة المناسبة لتوقف سريان الكهرباء قبل أن تقضي على ماجد.

وصاح الجنرال في غضب: دعني أقتل هذا المصري القذر.

ولكن مدير «الشين بيث» أجابه في صرامة: إننا لن نكسب شيئا بقتله.. وتذكر أن التعليمات هي أن نحصل على تلك

الأوراق والأبحاث منه أولا.. ثم نفعل به ما نشاء بعد ذلك.. وإذا ما مات هذا المصري قبلها قد نفقد جميعاً مناصبنا!

واقترب مدير «الشاباك» مقطبًا وهو يقول: إن الحكومة مهتمة جداً باستعادة تلك الأبحاث مرة أخرى، فبدونها ستكون العملية كلها قد تعرضت للفشل بعد كل ما فعلناه لإنجاحها.. ولن يكون في وجود هذا الإيطالي في قبضتنا أي فائدة، لأنه سيرفض التعاون معنا.

وأشار مدير «الشين بيث» بأصبعه في وجه الجنرال شامير غاضباً وقال: وهي ليست غلطتنا بأي حال من الأحوال، فقد كانت الوثائق بحوزتك، وأنت الذي فقدتها، ومن ثم فعليك استعادتها بأي ثمن.. ولكن ليس من المسموح لك قتل هذا المصري قبل أن يدلك على مكانها.

واتجه مدير «الشين بيث» خارجاً من الحجرة، وتبعه مدير «الشاباك».. ووقف الجنرال شامير وهو ينتفض غضبا وغيظا، ثم استدار إلى ماجد وصرخ فيه: انطق أيها القذر وإلا قطعت لسانك.

كان ماجد يشعر بألم هائل في كل جسده وبأنه شُويَ حيًا.. وكان كل جزء فيه يؤلمه ويسبب له عذابا لا يطاق، ولكنه برغم ذلك حاول أن يتمالك قواه، وارتسمت ابتسامة باهتة فوق شفتيه وهو يقول للجنرال: حتى لو قطعت لساني يا عزيزي وتعذر عليَّ سبك، فلن أعجز عن ركلك فوق مؤخرتك بقدمي لتستمر متعتي!

حزَّ الجنرال على أسنانه قهراً، وغمغم في غضب وحشي: أي نوع من البشر أنت أيها المصري.. كيف احتملت كل هذا الألم ولا تزال لديك القدرة على السخرية؟

أجابه ماجد ساخراً: لعل ذلك راجع إلى أنني أمتلك روحاً مرحة، وكنت أتمتع كثيرا بمشاهدة والدك وهو يعمل كمهرج في شوارع باريس يقوم بأعمال الحواة وتقليد أصوات نباح الكلاب وخوار البقر لكي يحصل من المشاهدين على بضعة فرنكات ثمنا لعشائه.. بالرغم من أن ألعابه كانت لا تثير لدى المشاهدين غير صيحات الاستهزاء، على حين كانت السيدة الفاضلة والدتك تقوم بانتهاز تلك الفرصة بنشل جيوب المشاهدين وتنظيفها من النقود!

حدق الجنرال في ماجد ذاهلا.. كان يوشك أن يصاب بالجنون وهو يستمع إلى ماجد وهو يكشف له كل أسرار حياته بل وأسرار عائلته.. تلك العائلة التي ادعى أنها كانت من بارونات «أوروبا»، ولو كانوا يعرفون حقيقتها في «تل أبيب» ما سمحوا له أن يصل إلى رتبة الجنرال أبدا أو تولي هذا المنصب الخطير!!

ودق الجنرال الحائط بيده في عنف وثورة، والتفت إلى ماجد في صوت مخيف قائلاً:

- لا تظن أنك بما تقوله ستدفعني لأن أتركك.. فهناك وسيلة ما ستدفعك للاعتراف بما أريد، وثق أنني سأعثر عليها بأسرع ما يكون.

وأنك لن تنعم بحياتك طويلا.

واصل ماجد سخريته قائلا: مرحى.. إن هذا معناه أنني ساظل حياً لبعض الوقت.. فشكرا لك على ذلك يا عزيزي شامير، فأنت تمنحني فرصة رائعة لأخبر كل من أصادفه ببعض الأسرار اللذيذة عنك وعن عائلتك الكريمة، ولحسن الحظ أنني تتبعت تاريخها حتى الجد السابع الذي أعدموه

في ميدان عام لأنه كان قاطع طريق في غابات «بولونيا».

زمجر الجنرال في صوت مخيف: إنك لن تعيش طويلا لتخبر شخصا ما بأي شيء.. وأقسم لك على ذلك.. ولسوف أعرف كيف أنتقم من أولئك الأوغاد في مصر الذين أرسلوك إلى هنا لتقوم بهذا العمل.. وأبشرك أيضاً أننا قمنا بتسريب معلومات إلى رؤسائك في القاهرة عن إيقاعنا بك.. فتظاهروا بالبراءة وأنهم لا يعرفون شيئا عنك. وأطلق ضحكة عالية خبيثة وهو يضيف: وبهذا ستحل ضيفا علينا نفعل بك ما نشاء، دون أن نكون حتى مطالبين بمنح أي شخص تفسيرا ما عن المكان الذي سندفنك فيه!

راقب ماجد الجنرال في صمت وجمود.. كان مقتنعاً من أن السيد «م» لن يتدخل للإفراج عنه أو حتى الاعتراف بأنه ضمن رجال المخابرات المصرية.. لكي لا يسبب مشكلة ما.. وأن مصيره بات يتحدد مع رغبة الجنرال شامير!

كان رقم (٧٠٠) يعرف قواعد اللعبة جيداً، ولذلك لم يطرف له جفن مما قاله جنرال «الموساد».. كان كل ما يضايقه تلك الآلام التي يشعر بها في كل أنحاء جسده..

وكان كل ما يرغب فيه بضع ساعات من النوم فقط.

والتفت الجنرال شامير إلى ماجد وفوق شفتيه ابتسامة شيطانية، وهمس يقول له في صوت ناعم: إن هناك وسيلة مضمونة لتعترف بما أريده منك، بل وستثرثر بأكثر مما أرغب في معرفته.. فهل سمعت عن عقار الصدق يا عزيزي.. إن قليلا منه نحقنك به، حتى تحل عقدة لسانك.

أجابه ماجد متهكما: وهناك أيضاً وسيلة مضمونة لإيقاف تأثير هذا العقار، ولا بد أنك سمعت عن العقار المضاد لعقار الصدق، والذي اكتشفته معامل أبحاثنا حديثاً، وقد حقنت نفسي به قبل بدء هذه المهمة لكي لا أمنحك متعة الوصول إلى ما تريد يا عزيزي!

جن جنون الجنرال شامير، وجذب ماجد من ياقته صائحاً: أيها الوغد.. إن لديَّ من الوسائل الرهيبة ما سيجبرك على الاعتراف بكل ما لديك لي.. وبعدها سوف تجثو على ركبتيك باكياً متوسلاً تطلب مني الاعتراف بكل شيء وإراحتك من عذابك بإطلاق رصاصة على رأسك تنهي حياتك!

اندفع أحد الضباط إلى الحجرة وأدى التحية للجنرال، ثم

قال له: لقد وصل الوغد الإيطالي يا سيدي، وهم يرغبون في الاجتماع بك حالاً للسؤال عن مصير أنطوني ألبرتو.

ألقى الجنرال نظرة عبر زجاج نافذة الحجرة المغلقة نحو ضوء الفجر الذي أشرق في الخارج وزمجر غاضباً: إن الوقت لا يزال فجراً وأنا متعب.. لماذا لا ينتظر هؤلاء الأغبياء إلى الغد؟

ولكن الضابط كرر في إصرار: إنهم متعجلون يا سيدي، وتعليمات الحكومة هي أن نقابلهم على وجه السرعة.

تلاعبت ابتسامة خبيثة على وجه الجنرال وقال: لا بأس.. لعل من الأفضل أن تنتهي كل الأعمال هذه الليلة.. وسأعرف كيف أقنع أعزاءنا الايطاليين بأننا أبرياء من اختطاف هذا الغبي أنطوني ألبرتو.

والتفت إلى ماجد مواصلا: بعد أن أنتهي من هؤلاء الإيطاليين سأعرف كيف أنتزع ما أريد منك، ولو اضطررت لتهشيم رأسك والتنقيب داخل مخك!

وأشار إلى رجاله المسلحين قائلاً: خذوا هذا الشيطان المصري إلى سجننا.. ولا تدعوه يغيب عن أبصاركم لحظة واحدة..

وإذا ما حاول القيام بأي خدعة فسيكون من دواعي سروري أن تستقر رصاصة في رأسه تنهي حياته.

واستدار إلى ماجد وحدجه بنظرة قاسية مخيفة، وقال في صوت كالفحيح:

- لعلك قد سمعت عن سجن «الموساد».. وإنه مكان لا يخطر على بال شيطان.. وفيه ستلاقي من العذاب أكثر مما سيلاقيه شيطان في الجحيم.. ولسوف يمتعنا وجودك معنا هناك بعض الوقت.. وأنت سجين أسوار هذا السجن.. أو ما نطلق عليها أسوار الموت.. فلا أحد احتوته هذه الأسوار، وغادرها حياً بعد ذلك.

وأطلق الجنرال ضحكة عالية صاخبة مستمتعة..

ضحكة شيطان دموي..

أغمض ماجد عينيه طالبا بعض الراحة.. كان لا يزال يشعر بالألم.. ولكن معنوياته كانت في قمتها..

فقد امتدت حياته لساعات قليلة قادمة.. وكان هذا هو كل ما يريده.

* * *

الخدعة الكاملة

مد الجنرال «شامير موداعي» يده مسلما وهو يقول لرئيس الوفد الإيطالي:

-معذرة إن كنت قد تأخرت عليكم فقد كان لديَّ عمل مهم أخَّرني عن أن أكون في استقبالكم.

فترامق رئيس الوفد: كارلو جيوفاني نظرة مقطبة تحوي الكثير مع أعضاء الوفد من رجال الخارجية الإيطالية والمخابرات، ثم غمغم في تقطيب: لا بأس أيها الجنرال.. وإن كان كل ما يهمنا هو أن نستعيد أنطوني ألبرتو بأي ثمن، وهو ما نرجو أن تكون متعاوناً معنا فيه.

جلس الجنرال ووضع ساقاً فوق ساق، وأشعل سيجارا فاخرا وهو يقول: لقد جئت إلى المكان الخطأ يا سيدي.

هتف كارلو في حدة: ماذا تعني بذلك.. إن لدينا معلومات مؤكدة أنكم اختطفتم أنطوني إلى «تل أبيب» ولدينا بعض التحريات الخاصة التي تؤكد ما أقوله.

ولكن الجنرال رمقه بنظرة متهكمة وقال: أؤكد لك أن كل تلك التحريات والمعلومات خاطئة تماما، وأن من قام بتسريب تلك المعلومات إليكم كان يقصد إلقاء الاتهام علينا، فأنتم تعرفون صراعنا الأبدي مع المصريين، وهم دائماً يحاولون الإيقاع بيننا وبين أصدقائنا.. وهم قد خدعوكم بتلك القصة الملفقة عن اختطافنا لأنطوني.

هب كارلو جيوفاني واقفاً في غضب وهتف: إنك برفضك الاعتراف بالحقيقة وإعادة مواطننا ستسبب أزمة ديبلوماسية ضخمة بين بلدينا، وستتحول صداقتنا إلى عداء، وسنقطع عنكم كل مساعداتنا و..

قاطعه الجنرال قائلا بنظرة ماكرة: رويدك يا سيدي.. فلن يكون هناك شيء مما تقوله.. فإن لدي الدليل على أن مواطنكم الإيطالي يوجد الآن فوق بعض الجزر اليونانية في الجنوب يتمتع بإجازة سعيدة.

عقد رئيس الوفد الإيطالي حاجبيه في حدة قائلاً: هذه المعلومات ليست صحيحة أبداً، فإن أنطوني ليس من هواة الإجازات، ومن المستحيل عليه أن يغادر إيطاليا دون أن يخبر أسرته بذلك.

وضع الجنرال شامير ساقاً فوق ساق وقال: بالعكس فقد نشطت مخابراتنا في البحث عن أنطوني بعد اتهامكم الفظيع لنا باختطافه، وقد أمكننا بعد تحريات دقيقة وبحث طويل أن نهتدي إليه وهو يمرح مع إحدى الحسناوات فوق إحدى الجزر اليونانية بعيداً عن العيون، وهو ما يفسر سر اختفائه بتلك الطريقة!

وألقى بنظرة ساخرة إلى أعضاء الوفد من رجال المخابرات الإيطالية وأضاف قائلاً:

- لقد أجهدنا كثيراً للوصول إلى تلك المعلومات بطرقنا الخاصة ورجالنا البارعين، في الوقت الذي تضيعون فيه الوقت باتهام الأبرياء بدلاً من البحث عن الحقيقة.

غمغم ألبرتو: لا يمكننا أن نقبل هذه الكلمات.. ولا بد من دليل على صحتها.

ودق جرس التليفون في الحجرة، فرفع الجنرال السماعة ومدها إلى رئيس الوفد الإيطالي دون أن يعرف المتحدث وقال له في سخرية: ها هو الدليل الذي تبحث عنه.. ستحصل عليه من «روما»!

التقط رئيس الوفد السماعة بدهشة وتحدث بالإيطالية مع المتحدث على الطرف الآخر، ثم أعاد السماعة بعد لحظات والتفت إلى الجنرال قائلاً: لقد تسلموا برقية من أنطوني في روما، وقد بعث بها من «جزر اليونان» حيث يقضي إجازته المفاجئة!

رفع الجنرال حاجبيه في سخرية أشد وأشعل سيجاراً وهو يقول: أرأيت.. لقد كنا على حق.

هبَّ أحد رجال المخابرات الإيطالية واقفاً في غضب وهو يقول: إن هذه البرقية لا تعني شيئا، فيمكن أن يبعث بها أي شخص على أنه أنطوني.. فهي خدعة ساذجة.

أومأ الجنرال برأسه قائلاً: أنت على حق.. ولهذا طلبنا من رجالنا في اليونان دليلا دافعاً على وجود أنطوني فوق إحدى الجزر هناك.

وألقى نظرة إلى ساعته وهو يضيف: وسوف يصل هذا الدليل حالا.

وطرق الباب بعد لحظة فزادت ابتسامة الجنرال اتساعا، وأمر الطارق بالدخول، فخطا أحد ضباط «الموساد» في ملابس معفرة من تراب السفر، وأدى التحية للجنرال قائلاً: لقد وصلت من «أثينا» فوراً يا سيدي، وقمت بإحضار ما تريد.

وأخرج من جيبه شريط فيديو كاسيت، فالتقطه الجنرال في صمت ودسه في جهاز فيديو صغير بالحجرة، وبعد لحظة بدأ دوران شريط الفيديو..

وفي صمت وسخرية قاسية راقب الجنرال أعضاء الوفد الإيطالي وهم يشاهدون أنطوني البرتو وهو يخرج من أحد الأكواخ فوق تلك الجزيرة، ويجري خلف الحسناء الفاتنة، ويسقطان على الأرض ضاحكين، وأنطوني يقول لها مقهقهاً: بأنه أعترافاً بجمالها الفاتن قد ترك كل أعماله في «روما» وأسرع خلفها إلى «اليونان» لقضاء وقت ممتع.. وأنه لن يغادر تلك الجزيرة قبل أن يتزوجا.. وسيرسل برقية إلى «روما»

ليطمئنهم عليه هناك، وهو واثق أن اختفاءه المفاجئ قد أثار الدنيا في «روما».

ثم ألقى الاثنان بنفسيهما في قلب البحر وشرعا في السباحة بقوة ومرح..

ضغط الجنرال على زر التشغيل فأوقف الفيديو.. ونفث دخان سيجارته وابتسامة ساخرة عريضة تحتل كل مساحة وجهه.. والتفت إلى رئيس الوفد الإيطالي قائلاً:

-هل تريدون الحصول على دليل أكبر من ذلك؟

تبادل أعضاء الوفد النظرات الصامتة المقطبة.. وغمغم كارلو بوجه أحمر خجلاً: إنني آسف.. فيبدو أننا قد تسرعنا في اتهامنا لكم.

أشاح الجنرال بيده في تسامح قائلاً: لا عليك.. لقد اعتدنا أن يساء الظن بنا دائماً، ونحن أبرياء تماماً.. ولا أدري لماذا يلصق العالم كل الشرور بنا؟

نهض رئيس الوفد الإيطالي قائلا: إنني أكرر أسفي لك يا سيدي.. وسوف أخبر حكومتنا بأن ذلك الاتهام باختطافكم أنطوني هو اتهام باطل.. وأننا شاهدنا دليل براءتكم بأعيننا.

وأضاف في صوت حانق غاضب: سوف يكون حسابنا عسيراً مع هؤلاء المصريين.

والتفت إلى الجنرال متسائلاً: هل يمكننا الحصول على شريط الفيديو لنعرضه على أعضاء حكومتنا ليتأكدوا من روايتنا؟

أجابه الجنرال: لا بأس.. إنه هدية منا لكم وعربون لصداقتنا.

وناول الجنرال رئيس الوفد الإيطالي شريط الفيديو فدسَّه في جيب معطفه في ارتياح..

وغادر كارلو الحجرة مع أعضاء وفده عائدين إلى المطار.. وعندما شاهدهم الجنرال شامير يركبون سياراتهم الديبلوماسية ويغادرون بها المكان، انطلق في ضحكة عالية صاخبة.. ضحكة ثعلب شديد الدهاء.

وظل يضحك حتى دمعت عيناه..

ثم توقف عن الضحك وأخرج زجاجة «براندي» صب منها كأساً كبيرة تجرعها مرة واحدة فأشعلت النار في عروقه.

ومن أحد الأركان في الحجرة انفتح باب جانبي.. وخطا شخصان إلى الحجرة.. كان أحدهما الحسناء الفاتنة التي كانت ترافق أنطوني فوق تلك الجزيرة اليونانية، فاقترب منها الجنرال وهو يقول لها: لقد أحسنت أداء دورك يا دليلة.. وسوف آمر بتكريمك التكريم اللائق بعملك الممتاز.

ثم استدار إلى الشخص الواقف بجوارها، وحدق فيه باسماً.. وغمغم بإعجاب: لقد أديت دورك بطريقة رائعة أنت أيضاً يا «شمعون».. وإنني لأعترف بمهارة أطبائنا التجميليين، فقد جعلوا من وجهك صورة طبق الأصل من هذا الغبي أنطوني ألبرتو. وأنا نفسي كان من الممكن أن أنخدع فيك لولا معرفتي السابقة بالحقيقة.

وجلس إلى مكتبه ووضع ساقاً فوق ساق وهو يقول متخابثاً: كانت هناك مشكلة صغيرة هي أنك لا تجيد الإيطالية يا عزيزي شمعون.. ولكن خبراءنا في تحليل الأصوات قاموا بوضع صوت مشابه لصوت ألبرتو في مونتاج رائع فوق شريط الفيديو كاسيت.. فبدا وكأنك أنت هو فعلا.

وانطلق ضاحكاً بقوة، فقالت دليلة باسمة: كانت فكرة

رائعة يا سيدي أن نسافر إلى «اليونان» بأسرع ما يمكننا لنلتقط ذلك الفيلم ونعود به إلى «تل أبيب» في نفس الليلة.. ولا شك أن هؤلاء الإيطاليين الأغبياء لن يدركوا الخدعة أبداً.

قال شمعون في قلق: ولكن يا سيدي ربما يبين فحص الإيطاليين لشريط الفيديو بدقة حقيقة الخدعة، فلا شك أن جسدينا أنا وأنطوني غير متطابقين تماماً.. وكذلك اتساع الجبهة وإن كانت خدعتنا قد جازت على الوفد الإيطالي لأنهم لا يعرفون أنطوني جيداً إلا أن أصدقاءه ومعارفه عندما سيقارنون صورته مع صورتي في شريط الفيديو قد يكتشفون الحقيقة.. ولذلك ما كان يجب إعطاؤهم شريط الفيديو.

رفع الجنرال سيجاره في وجه شمعون قائلا: لوأننا رفضنا إعطاء شريط الفيديو للإيطاليين لشكوا في الأمر.. وقد كنت أتوقع أنهم سيطلبونه، ولذلك استعددت مسبقا فمنحتهم شريط الفيديو يقوم بتدمير نفسه ذاتيا خلال ساعة واحدة.. وقبل أن يصل هؤلاء الأغبياء إلى «روما» سيكون شريط الفيديو قد تحول إلى رماد.. وبهذا ستختفي الحقيقة إلى الأبد..

وسيظل أنطوني في سجوننا حتى ننتزع منه ما نريد، ثم نتخلص منه دون أية ضجة.. وإذا ما احتج الإيطاليون بتدمير شريط الفيديو فسنخبرهم أنهم أساؤوا أستعماله!

وانطلق الجنرال يضحك في متعة..

وهتفت دليلة: إنها خدعة رائعة يا سيدي.. الخدعة الكاملة بحق!

شمعون: هذا صحيح.. وليس فيها ولا ثغرة واحدة.

تعقد حاجبا الجنرال وتوقف عن الضحك، ونفث دخان سيجاره في تقطيب قائلاً:

-في الحقيقة إن تلك الخطة بها ثغرتان وليست واحدة فقط!

وراقب ضابطيه ثم أضاف: إن الثغرة الأولى هي أن المخابرات الإيطالية ستسعى خلف أنطوني فوق جزر اليونان كما أخبرناهم وعندما لن تجده سينتظرون عودته على الأقل.. وعندما لن يعود أبداً سيبدأون في الشك فينا مرة أخرى. وأننا خدعناهم بطريقة ما!

غمغم شمعون في قلق: هذا صحيح يا سيدي.

وواصل الجنرال وهو يسحق سيجاره بقدمه الكبيرة: أما الثغرة الثانية فهي أن مثل تلك الخطة التي قمتما بها نظرا لأهميتها يجب أن تظل في طي الكتمان. لأن أي تسرب بالحقيقة سيسبب أزمة ديبلوماسية مضاعفة مع الإيطاليين.. وعادة لا يمكن أن يظل أي عمل طي الكتمان.. إذا عرفه أكثر من شخصين.

غمغم شمعون بوجه شاحب: ماذا تعني يا سيدي؟

أجابه الجنرال بصوت مخيف: ما أعنيه هو هذا.

وأخرج الجنرال من جيبه مسدساً صغيراً صوبه إلى شمعون قائلا: لقد أديت يا عزيزي شمعون دورك على أحسن ما يكون.. وتبقى شيء صغير ليكتمل أداؤك الرائع..

وهو أن يحصل الإيطاليون على جثتك داخل أحد الأكواخ بجزر اليونان وجبهتك مزينة برصاصة من مسدس مصري الصنع فيظنونك أنطوني بالفعل.. وعندها يمكن أن نقول إن المصريين قاموا بقتلك بعد أن خشوا من عودتك إلى «روما» وفضح كذبهم باختطافنا لك.

تراجع شـمـعـون للخلف، وهو يحـدق في الجنرال بعـينين ذاهلتين، وغـمـغم في رعب: ـ لا يا سيـدي.. إنك لا يمكـن أن تقتلني بعد كل ما فعلته.. لا يمكن أن يكون هذا هو مصيري بعد أن خدمت إسرائيل بإخلاص.

بصق الجنرال على الأرض وقال: إننا جميعا فداء إسرائيل.. ورفضك أن تحافظ على أمنها للنهاية يلقى الظلال والشكوك حول انتمائك.. ومن ثم أرى أنك تستحق الموت على أي حال باعتبارك خائنا يرفض التضحية بحياته لأجل أمن بلاده!

جثا شمعون على ركبتيه وانفجر باكياً وهو يقبل قدمي الجنرال، ولكن شامير دفعه بغلظة فقال شمعون: إنك لن تستفيد شيئا من قتلي يا سيدي الجنرال، فحتى لو حصل الإيطاليون على جثتي فسيكتشفون الحقيقة عندما يشاهدون آثار العملية الجراحية على وجهي وسيعرفون أنني لست أنطوني الحقيقي.

أجابه الجنرال ساخرا: أشكرك لهذه النصيحة يا عزيزي.. ولكننا لن نبعث بجثتك هكذا، إلى شواطئ جزر اليونان.. بل سنقوم بتدبير حريق صغير في ذلك الكوخ الذي كان مفترضا

أنك تقيم به هناك.. ومن ثم لن نترك لهم غير كومة من العظام ليفحصوها، وهي لن تفصح لهم بالكثير مما نخشاه.

حملق شمعون في الجنرال وقد انعقدت الكلمات في فمه..

وأدرك الحقيقة متأخرا..

أدرك أنه يعمل مع وحش.. وأن توسلاته لن تفيد بشيء.. وأن الموت مصيره في النهاية.. فقفز واقفاً صارخاً في الجنرال: أيها الوحش القذر.. لسوف أقتلك قبل أن تقتلني.

واختطف مسدسه من جيبه.. ولكن وقبل أن يتاح له الوقت لاستعماله انطلقت رصاصة من مسدس الجنرال.. فترنح شمعون وقد ظهر ثقب صغير في جبهته.. ثم انكفأ على وجهه دون حراك.

واستدار الجنرال في بطء إلى دليلة التي كانت واقفة مسمرة مكانها كأنّما أصابها شلل.. واستعادت أنفاسها أخيراً وغمغمت بصوت مرتعد: إنني لم أشاهد شيئًا يا سيدي ولن أنطق بشيء وأقسم على ذلك.

تجرع الجنرال كأسا ثانية ممتلئة بالخمر وهز رأسه قائلاً:

ـ نعم.. إنك لم تشاهدي شيئاً ولن تنطقي بشيء.. لأن الموتى لا يرون ولا يتحدثون ليكشفوا الأسرار!

تفجر الرعب والهلع على وجه دليلة وهتفت: ولكن يا سيدي.. أنت قلت إن السر يمكن أن يحتفظ به اثنان.. أنا وأنت و..

قاطعها الجنرال مقهقهاً: أنا قلت اثنين.. ولم أقل إنك إحداهما يا عزيزتي.. لقد عنيت نفسي ورئيس جهاز الموساد!

وصوب مسدسه إليها مضيفاً: لقد وعدتك أن أقوم بمنحك وساماً.. وسأفعل وأضع هذا الوسام بنفسي على قبرك مع التكريم اللائق لبطلة ضحت بحياتها لأجل أمن وطنها.. فأنا لا أعد وأخدع!

ودوت رصاصة ثانية..

وترنحت دليلة بعينين غائمتين.. ثم ارتمت على الأرض إلى جانب جثة زميلها..

واستدار الجنرال وعيناه تلمعان بوميض مجنون..

وميض وحشي.. لا ترويه غير الدماء..

وأغمض عينيه هامساً كأنه يتلو صلاة: لقد ماتا لأجل أمان إسرائيل.. فلترقد روحاهما في سلام إلى الأبد!

وضغط على زر بجواره، وفي الحال اندفع إلى داخل الحجرة عدد من رجال الموساد، حملوا الجثتين في صمت ودون ضوضاء وغادروا الحجرة سريعا..

وغمغم الجنرال في صوت محتقن: والآن فإن الشيطان نفسه لن يستطيع أن يكشف سر ما حدث..

ورمق مسدسه بنظرة عميقة، ثم أضاف محدثاً نفسه بصوت كالفحيح: تبقت في هذا المسدس بضع رصاصات.. وأقسم أنها ستستقر في جسد هذا الشيطان المصري لتكون نهايته على يدي!

واستدار ليغادر الحجرة ليحصل على قسط من الراحة قبل أن يؤدي المهمة التي يعشقها أكثر من أي شيء آخر في العالم.. القتل!

* * *

أسوار الموت

توقفت عربة السجن المصفحة في أطراف «تل أبيب» أمام باب إليكتروني مصفح، أحيط به سور ضخم من الخرسانة انتصبت فوقه عشرات من الجنود المدججين بالسلاح.

وانفتحت الأبواب الإلكترونية فمرت من خلالها عربة السجن إلى الفناء العريض.. وفي الحال اندفع عدد آخر من الجنود المسلحين يحطيون بالسيارة المصفحة.

وانفتح بابها.. وقفز من داخلها ضابطان مسلحان، وصاح أحدهما في ماجد ملوحا بسلاحه في غضب: هيا أيها الجاسوس غادر السيارة.. أم أن الرحلة قد أعجبتك؟

قفز ماجد خارجا من السيارة.. وتطلع حوله فشاهد الأسوار الحصينة التي تحيط بفناء السجن ومبناه الضخم الكالح إحاطة السوار بالمعصم.. وبأعلى شاهد قضباناً من الحديد تغطي سماء

الفناء لتمنع أي محاولة للهرب من أعلى بواسطة طائرة.. وفي أحد الأركان كان هناك بعض المساجين الحفاة في ملابس رثة يبين عليهم الهزال وآلام التعذيب، وقد راح أحد الحراس يهوي بهراوة ضخمة من الخشب الثقيل فوق رأس أحد المساجين دون رحمة.. وباقي المساجين يراقبون المشهد دون أن يجرؤ أحدهم على التدخل لإنقاذ زميلهم الذي أوشك على الموت، لئلا يكون الموت مصيرهم أيضاً.

ودفع أحد الجنود ماجد صائحاً: هل أعجبك المشهد.. سوف تحصل على نصيبك منه حالاً، فلا أحد يبقى في هذا السجن بعض الوقت دون أن يحصل على نصيبه كاملاً من مزاياه.. والآن هيًا إن مدير السجن في انتظارك.

تحرك ماجد تجاه مدخل المبنى العريض يراقب كاميرات التليفزيون المبثوثة في بعض أركان السقف الحديدي لتراقب حركة المساجين وتنقلها إلى الحراسة الداخلية.

ومنذ اللحظة الأولى أدرك ماجد أن ذلك المكان حصين ولا يمكن الهرب منه بأي حال من الأحوال.. وأن أوقاتاً قاسية صعبة تنتظره بداخلها. كان لا يزال يشعر ببعض آلام التعذيب

والصعق الكهربائي، ولكنها صارت أقل عما كانت عليه قبل ساعات.. وصار عقله في قمة توهجه وتيقُّظه.

وانتهى السير داخل حجرة متسعة بداخلها ضابط كبير برتبة جنرال كان ظهره لماجد.. وأستدار الجنرال فضاقت عينا ماجد.. كان مدير السجن هو نفسه مدير جهاز الشاباك.. الجنرال أهارون داوود وتلاعبت ابتسامة على وجه الجنرال أهارون وقال لماجد:

-لقد جاءت أوامر عليا بأن أتولى مسئولية السجن.. منذ اللحظة التي تطؤه قدماك.. لأرحب بك بالطريقة الملائمة. فهم يعرفون أي شخص خطر تكون.. ولذلك اختاروا الشخص المناسب للترحيب بك داخل السجن!

أجابه ماجد في سخرية: مرحى.. إن حكومتكم توزع الأدوار جيداً.. فتمنح كل جنرالات البلد الأماكن التي تناسب مواهبهم ليمارسوا فيها هواياتهم في التعذيب والقتل.

لم يبد على الجنرال أهارون أي إحساس بالغضب، وارتسمت ابتسامة ماكرة على وجهه وقال:

-أنت على حق.. وهو ما نشكر عليه قادة هذه البلاد لأنهم يلبون كل احتياجاتنا مهما كانت صعبة..

وهكذا يا عزيزي تجد أن مواهبك مهما كانت بارعة، وحتى لو كنت أنت الرجل الخارق بحق أو سوبر مان، فلن يمكنك مغادرة هذه الأسوار.. حياً!!

وتألقت عيناه بنظرة ماكرة وهو يضيف: وهناك أمر مهم أود إخبارك به، فقد استطاع الجنرال شامير خداع أولئك الإيطاليين الأغبياء بأن أنطوني في إجازة مع حسناء بجزر اليونان.. وصور شريط فيديو بذلك وأعطاه لهم فسافر الإيطاليون وهم يسبون أولئك المصريين الذين خدعوهم.. أما هذان المسكينان اللذان قاما بأداء دور أنطوني وحسنائه فقد بعث شامير بجثتيهما حيث ستجدهما المخابرات الإيطالية محترقين وبرأس كل منهما رصاصة.. من مسدس مصري بالطبع!

ضاقت عينا ماجد وقد أدرك أي رجل يكون الجنرال شامير.. وأن السيد «م» كان على حق عندما أطلق عليه العقل الجهنمي.

وأضاف الجنرال أهارون ساخراً: وبالطبع فالمفترض أن ما حدث هو سر، ولكنني توصلت إليه بطرقي الخاصة، ورأيت أن أخبرك به عسى أن يقنعك بأنك تبذل مجهوداً فاشلاً بصمتك وعدم التعاون معنا.. فالإيطاليون لن يسألونا عن أنطوني ثانية بل سيوجهون اتهاماتهم إليكم بأنكم قتلتموه، على حين ينعم أنطوني بضيافتنا في مستشفى السجن.. وأنت لن تجرؤ المخابرات المصرية على المطالبة بك قبل سنوات.. وبهذا ترى أنك في موقف يائس تماما.. وان مصيرك يتوقف على تعاونك معنا.. أقصد معي بالذات!

لم تطرف عينا ماجد وراقب الجنرال أهارون في صمت دون أن يرد على حديثه.. واقترب الجنرال من ماجد ووضع يده فوق كتفه قائلاً في ود مصطنع: والآن ماذا تحب أن تشرب.. وكل المشروبات موجودة لدينا؟

أجابه ماجد في مرح ساخر: ماذا.. هل قررتم التخلص مني بدس السم في مشروب ما؟

داعب الجنرال أهارون شعر ماجد قائلا:

ـ لا يا عزيزي.. إننا لا نقتل هكذا في سهولة.. فالقتل

بالسم منحة لن يمكنك الحصول عليها للأسف الشديد لأنها ستنهي حياتك بسرعة.. فلا يتيح لك أن تتمتع بالإقامة طويلاً في هذا السجن، وأن تتذوق كل صنوف التعذيب والآلام بين أسواره.

رفع ماجد حاجبيه في إعجاب ساخر قائلا: أرى أن مواهبك لا تقل عن مواهب الجنرال شامير.

صب أهارون لنفسه كأسا من الويسكي تجرعه ببطء وتلذذ وهو يقول:

-إن الجنرال شامير متهور وأحمق ويحب الإعلان عن أعماله.. أما أنا فأحب أن أعمل في صمت ودون ضجة، ووسائلي تحقق نفس النجاح أيضاً!

وحدق في ماجد بعينين خبيثتين وهو يضيف: وأمامي أربع وعشرون ساعة أقنعك بالتعاون فيها بطريقتي الخاصة.. أو أعلن فشلي فيأتي الجنرال شامير لينفذ حكم الإعدام فيك بالطريقة التي يراها.

هز ماجد رأسه قائلاً: إذن فقد تغيرت الخطط.. وصارت

مهمة معرفة مكان الأبحاث موكلة إليك يا عزيزي الجنرال أهارون، وربما وعدتك حكومتك أن تمنحك وساماً إذا ما توصلت إليها.. ولهذا أخبرتني بتلك القصة عما فعله الجنرال شامير مع الإيطاليين لتقنعني بأنك أملي الوحيد للنجاة بحياتي.

مد الجنرال أهارون يده إلى ماجد قائلا: يسعدني أنك توصلت إلى الحقيقة بسرعة لتوفر علينا الوقت والجهد، وهأنذا أمد يدي للتعاون معك، وأقسم إن أخبرتني بمكان الوثائق أن أجعل إقامتك في هذا المكان هينة.. وأن أقوم بمبادلتك مع أحد جواسيسنا في القاهرة الذين وقعوا في أيدي مخابراتكم منذ قليل.. وإنك خلال بضعة أسابيع أو شهور قليلة ستعود إلى القاهرة ثانية.. وخلالها سأكون أنا قد رقيت إلى منصب كبير.. فيكون كل منا قد استفاد بواسطة الآخر.. ولن أنسى لك هذا الصنيع أبداً.

مط ماجد شفيته وقال في لهجة متهكمة: يا له من عرض مغر.. ولكنني لا أستطيع قبوله للأسف.

- ولماذا؟

ـ لأن أي مطهرات لن تفلح في إزالة رائحتك القذرة من يدي عندما أصافحك.. ولحسن الحظ إن يديَّ مقيدتان تمنعاني من ذلك.

اشتعل الغضب في عيني الجنرال وصاح في ماجد: إذن فقد اخترت الطريقة التي ستتعامل بها في هذا السجن.. وقد تكون الأوامر هي أن أبقى على حياتك لحين وصول الجنرال شامير غداً.. ولكن الأوامر لم تحدد إذا ما كنت سأقوم بتسليمك إليه في أتم صحة.. أم وأنت تزحف بساقين محطمتين وذراعين مهشمتين ورأس قد أصابها التهتك وتحتاج إلى عشر عمليات جراحية!

وأشار الجنرال لرجاله المسلحين، فانقضوا على ماجد، ولكن وقبل أن يجذبوه خارجا صاح الجنرال بهم: مهلا.. فلا يصح أن يكون عزيزنا رقم (٧٠٠) المصري في ضيافتنا ويداه مقيدتان.. فنحن نريد أن نشعره أنه في بيته!

ودس مفتاحا في قيود ماجد ثم ألقاها بعيدا، وماجد يراقبه في صمت. وأخرج الجنرال من جيبه إسوارة حديدية فتحها بمفتاح دقيق دسه في جيبه، وأحاط بالأسوارة معصم ماجد وهو

يقول ساخرا: إن هذه الأسوارة مزودة بدائرة إلكترونية تحدد مكانك في أي لحظة عن طريق التقاطنا لإشارتها.. وبواسطة جهاز خاص وسيستحيل عليك التخلص منها إلا بقطع ذراعك..

وحدق في وجه ماجد بحقد مضيفاً: ولن يسعدني أكثر من أن تحاول الهرب.. فيكون لي الحق في أن أجعل جسدك يتحول إلى أشلاء متناثرة من الرصاص.

أجابه ماجد ساخراً: إنني أسف بشأنك يا عزيزي لأنني لن أستطيع تحقيق هذه المتعة لك بقتلي.. ولكن الهرب ليس ضمن خطتي في هذا المكان..

وأضاف في قسوة وسخرية أشد: ليس الآن على الأقل!

وغادر ماجد المكان بوجه قاسٍ بارد في حراسة الجنود المسلحين.. ووقف الجنرال مكانه وهو يغلي من الغضب، ثم التفت إلى أحد ضباطه قائلاً: أنتم تعرفون ما ستفعلونه بهذا الشيطان.. أريد أن يبدو الأمر وكأننا لا دخل لنا به على الإطلاق..

- لا تقلق بشأن ذلك يا سيدي.

وغادر الضباط المكان بسرعة.. ووقف الجنرال مكانه وهو يرشف كأس الويسكي ببطء ويراقب ماجد من نافذة حجرته والحراس يحيطون به ويقودونه عبر فناء السجن..

ولكن بعض المساجين اعترضوا الحراس، واقترب أحدهم من ماجد قائلا: أنت أيها المصري.. ألم نتقابل من قبل؟

استدار ماجد إلى المساجين.. كانوا ستة أو سبعة من ضخام الأجسام، وكان من حدثه عملاقا له سحنة مليئة بالندوب ويبدو كوحش كاسر.. وفي الحال انسحب الحراس من جوار ماجد كأنما لا شأن لهم بما يجري في المكان.

ولم يكن رقم (٧٠٠) في حاجة إلى من يخبره بأن الأوامر صدرت إلى ذلك السجين لكي يتحرش به ليتم تلقينه درساً قاسياً.

رمق ماجد السجين العملاق بنظرة متهكمة وقال له: لا أظن أننا تقابلنا من قبل يا عزيزي.. فإنني لا أفضل عادة الذهاب إلى الأماكن القذرة وبرك الطين لأغتسل فيها.. وهو

ما يجعلني أؤكد لك أنني لم أتشرف بمعرفتك القذرة من قبل!

اشتعل الغضب في عيني العملاق وزمجر قائلاً: أيها الوغد.. لقد حكمت على نفسك بالموت.

واستل العملاق من جيبه سكينا حادة دفعها إلى صدر ماجد.. ولكن رجل المهام الصعبة كان مستعداً تماما للمواجهة.. وفي غمضة عين انحرف يسارا فطاشت ضربة السكين، وطارت قدم ماجد لتصيب العملاق بين ساقيه، فخار العملاق في ألم هائل وانحنى على نفسه، وفي اللحظة نفسها اندفعت قبضة ماجد كأنها طلقة مدفع لتهشم فك وأنف العملاق، وتلقيه أرضاً غارقا في الدماء، فصاح ماجد به: إن هذا سيعلمك أصول الحديث مع الغرباء الذين لا يروق لهم صحبتك القذرة.

وصاح زملاء العملاق في غضب واندفعوا نحو ماجد..

ولكن رجل المهام الصعبة برغم آلامه كان قد استعاد حماسه للقتال ولياقته البدنية الفائقة.. ولحسن الحظ إن أهارون خلصه من قيوده.

وبحركة بارعة ألقى بنفسه على الارض ودفع بقدميه في معدة اثنين من مهاجميه، فدفعهما للوراء في عنف شديد فاصطدما بالحائط خلفهما وتهاويا تحته.

وقفز ماجد لتطيح قبضته بمهاجم آخر وهو يقول له: هذا يعلمك الا تصاحب الأوغاد بعد ذلك!

وهوى بكوعه على سجين رابع هاتفا به: وألا تتآمر أنت أيضاً مع الأشرار.

ولكن السجين الخامس، انقض على ماجد من الخلف فقيد يديه.. وطارت قبضة السجين الأخير لتلكم ماجد في معدته.. ولكن.. لم يتح له أبداً تسديد ضربة أخرى.. فهوى ماجد برأسه للخلف فاصطدمت برأس من يقيده في عنف، فصرخ السجين ممسكاً برأسه. وعندما طارت قبضة السادس نحو ماجد انحرف قليلا، فأصابت اللكمة العنيفة وجه زميله فأطاحت به بفك مهشم..

واندفعت قبضة ماجد لتأخذ طريقها إلى فك السجين الخامس وهو يقول له: لقد ارتكبت خطأ ثانيا بإصابة زميلك.. وهو ما تستحق عليه طردك من هذه اللعبة!



وطارت قدمه كالقذيفة لتصيب السجين في صدره وتهشم ضلوعه، فاندفع السجين للخلف وسقط على الأرض وهو يبصق دماً، ورماه ماجد بنظرة قاسية قائلاً: إن من يرتكب الأخطاء المضاعفة، يستحق عقاباً أقسى.

اندفع الجنود المسلحون نحو ماجد في غضب.. فهتف ماجد بهم في سخرية:

- مرحى إنكم تشبهون رجال الشرطة في بعض البلاد الذين لا يأتون إلى ساحة المعركة إلا بعد أن يتم دفن القتلى!

فصاح أحد الجنود في ماجد غاضباً: هيا إلى زنزانتك إيها الشيطان.

ومن مكانه راقب الجنرال أهارون المعركة التي دارت بأسفل وقد اشتعلت عيناه غضباً.

كان آخر ما يتوقعه أن يتمكن ماجد من الفوز على خصومه بتلك السهولة دون أية إصابة..

وخبط الحائط بقبضته في عنف صائحاً: هذا المصري اللعين.. إنه يبدو وكأنه رجل خارق.

وأرسلت عيناه باللهب وهو يضيف مغمغاً: ولكني سأعرف كيف أؤدبه.. وأجعل من الساعات الباقية له في هذا السجن على قيد الحياة جحيما لا يطاق!

وألقى بكأسه في عنف نحو الحائط، فتهشم وتناثر في قطع صغيرة.

***

في الطريق إلى المستشفى

ألقى ماجد نظرة غاضبة على الزنزانة الضيقة التي انغلق بابها عليه.. وكانت حوائطها إسمنتية صماء بلا نافذة واحدة.. وبابها من الصلب.. وكانت الأرضية القاسية غارقة في المياه القذرة بحيث يستحيل عليه الجلوس أو النوم فوقها.. أما رائحتها فكانت لا تطاق. ومن أحد الأركان شاهد بعض الحشرات تتجول فوق الحائط فغمغم في غضب:

-لقد زود هؤلاء الأوغاد الزنزانة بكل وسائل الراحة الممكنة!

ولم يكن يضيء الحجرة غير لمبة كهربائية صغيرة تلقي بضوء شاحب داخل الزنزانة وتتدلى من سلك كهربائي طويل.

وتنبه ماجد للعدسة المخفاة في مهارة بأحد أركان الزنزانة لتقوم بالتقاط كل ما يفعله.. فوقف لحظة مكانه وهو يراقب كل جزء في الزنزانة مفكرا.

كان واثقا أنهم لن يدعوه يهنأ في زنزانته القذرة.. وأن ما هو أشد وأقسى ينتظره بعد وقت..

وكان عليه أن يعمل سريعا.. فأعطى ظهره لباب الزنزانة ليسد الرؤية على العدسة التليفزيونية، وامتدت يداه فجذب السلك الكهربائي المعلق في السقف ويصل إلى اللمبة الصغيرة.. فانتزعها من مكانها واحتفظ بالسلك الكهربائي العاري قريبا منه.

وبعد دقائق حدث ما توقعه.. فانفتح باب الزنزانة في عنف، وظهر في مدخلها ما يزيد عن عشرة من السجناء الحفاة الكريهي السحنات وهم مسلحون بالسكاكين والعصي والهراوات.. ولم يكن من شك أن أوامر خاصة صدرت إليهم بتلقين ماجد درساً قاسياً بأوامر من قائد السجن...

ومن الخلف كانت صيحات مئات المساجين تدوى في زئير غاضب وتنتظر دورها لتشارك في سحق رقم (٧٠٠).

وتطلع السجناء إلى داخل الزنزانة الخالية، وقال أحدهم في ذهول:

- أين ذهب هذا الشيطان المصري؟

واجابه صوت من أعلى في رقة: هل تبحث عني أيها الصديق؟

فتطلع السجناء إلى أعلى في ذهول، وشاهدوا ماجد وقد تسلق ركن الحائط واستقر قرب السقف..

وصرخ أحدهم: اقبضوا على هذا الماكر.

ولكن الوقت لم يتسع لهم أبداً ليفعلوا ما يريدون..

فقد أسقط ماجد شيئاً في يده نحو الأرضية الغارقة في المياه.. وهو في مكانه.

وفي نفس اللحظة صرخ السجناء في هلع: التيار الكهربائي يسري في أجسادهم من السلك الكهربائي الذي ألقاه ماجد في مياه المجاري فجعل الكهرباء تسري فيها وتصعقهم.

وتدافع البعض مهرولين خارج الزنزانة صارخين في ألم.. على حين انكفأ البعض الآخر على وجهه داخل المياه المكهربة وهم يطلقون صيحات ألم رهيبة..

وانتزع ماجد السلك الكهربائي من مياه الأرضية فتوقف

صراخ المساجين، وتدافعوا في ألم لينهضوا من رقدتهم وهم يحدقون في ماجد كأنهم يرون شيطانا..

وصاح ماجد ساخراً فيهم وهم يهربون من المكان: في المرة القادمة عليكم بطرق الباب والاستئذان أيها الأوغاد قبل الدخول!

ولكن الدفعة التالية من المساجين كانت أكثر شراسة وقد استعدوا لخدعة ماجد..

فارتدوا احذية جلدية في أقدامهم.. ولكنهم ما كادوا يمسون الباب المصفح حتى صرخوا في هلع وشلت ايديهم وتصاعدت من ايديهم رائحة احتراق..

وانتزع ماجد السلك العاري من الباب المصفح فسقط المساجين على الأرض وهم يتلوون ويبكون من ألم الكهرباء.. وراقبهم ماجد في سخرية وهو يقول: إن بعض الأغبياء يصرون على تكرار نفس الغلطة.. وكان عليكم ارتداء شيء في أيديكم أيضاً!

وقبل أن يتدافع السجناء المصعوقون الهاربون أمسك ماجد بأحدهم وأشار إلى داخل زنزانته قائلا: عليك بتنظيف المكان.. فإنني غير معتاد على النوم وسط برك المياه.

أومأ السجين مرتعباً والتقط دلو ماء من ركن الزنزانة وراح ينزع به المياه ويلقيها خارجاً حتى جففها تماماً.. ثم خلع حذاءه واندفع يطارد الحشرات والهوام في الزنزانة دون أن يطلب منه ماجد ذلك حتى سحقها جميعاً، فربت ماجد على رأسه قائلاً: إنك تستحق لقب المسجون المثالي، فاذهب وأخبر زملاءك بأن المزيد من الكهرباء تنتظرهم إذا حاولوا اقتحام الزنزانة مرة أخرى، أما عزيزنا الجنرال أهارون فأخبره أنه لو أصر على معاقبتي بواسطة المزيد من المساجين، فسينتهي الأمر بدفن نصفهم في زنزانتي، وبالنصف الآخر داخل المستشفى!

هتف السجين مرتعباً: سأفعل يا سيدي وأقسم على ذلك ولكن لا تمسني بسوء.

واندفع مغادرا الزنزانة كمن يطارده شيطان..

وتثاءب ماجد وهو يشعر بالإرهاق.. كان في حاجة إلى نوم عميق.. وكان واثقاً أن الجنرال وجنوده والسجناء لن يحاولوا اقتحام زنزانته مرة أخرى.. فتمدد فوق الأرضية الخشنة وغرق في نوم عميق..

ولكنه كان مخطئاً دون شك.. فرجل مثل الجنرال أهارون ما كان ليستسلم أبداً.

وانتظر ساعات طويلة ليضمن استغراق ماجد في النوم..

ثم أصدر أوامره..

وبعد لحظات قليلة انفتح باب الزنزانة في عنف شديد..

وظهر عدد من السجناء في مدخلها وهم مسلحون بالجنازير والهراوات.. وصرخ أحدهم في ماجد: أنت أيها القذر.. هيا افتح عينيك فقد حان أوان نهايتك.

فتح ماجد عينيه في بطء.. وكان أول ما ميزه هو وجه العملاق الذي هشم فكه وأنفه.. وقد وقف مسلحاً بهراوة ضخمة وهو يغلي غضباً..

وتثاءب ماجد وهو يقول ساخرا: مرحى.. لقد عاد العملاق المهرج ليمتعنا بعرضه مرة أخرى.. فيا لحسن حظ المشاهدين هذه الليلة!

وصرخ العملاق: لسوف أحطم ذراعيك وقدميك أيها المصري؟

فهب ماجد واقفا في تحدٍ وهو يقول: هيا.. ماذا تنتظر إذن؟

هوى العملاق فوق رأس ماجد بهراوته، ولكن ماجد انحرف قليلا فارتطمت الهراوة بالحائط، وفي نفس اللحظة أطلق ماجد قبضته كقذيفة المدفع فأصابت العملاق في معدته وجعلته يزأر من الألم..

والتقط ماجد الهراوة من يد العملاق ثم هوى بها فوق رأسه، فسقط العملاق على الأرض دون حراك.. واندفع زملاؤه يهاجمون ماجد في وقت واحد..

وعملت قبضة ماجد في كل الاتجاهات.. وطارت قدماه لتصيب مهاجميه في كل مكان.. والتقط هراوة أحد المساجين واتخذها سلاحا فعالاً للدفاع عن نفسه.

وتهاوى السجناء تحت قسوة ضرباته..

ولكن مزيداً من السجناء اندفع إلى داخل الزنزانة حاملين أسلحتهم أيضاً..

وأدرك ماجد أنه سيصبح صيداً سهلاً في مكانه الضيق. فاندفع يعدو خارجاً من الزنزانة وخلفه عشرات من المساجين.. والحراس يراقبون المشهد باسمين دون أن يتدخلوا.

وهوت هراوة فوق رأس ماجد فأسالت دماءه.. وهوت أخرى فوق ساقيه فسقط على الأرض وهو يشعر بألم بالغ.. ولكنه تحامل على نفسه وأطاح بهراوته باثنين من مطارديه.. ولكن ضربة من جنزير حديدي أصابته في ظهره فأحس كأنه شق نصفين..

وأحس أنه يكاد يفقد وعيه وأن قواه تخور..

ولمح الجنرال أهارون واقفا في مدخل الفناء وهو يراقبه بعينين ضيقتين.. فاندفع ماجد صوبه متعثراً.. واحتضنه وهو يهمس فيه بآخر قواه: أبعد هؤلاء المساجين عني وسأخبرك بمكان الأبحاث.

التمتعت عينا الجنرال أهارون وصاح في المساجين: دعوا هذا السجين لي.

وفي الحال توقف صراخ المساجين وصياحهم ومطالبتهم بالثأر، وتراجعوا إلى الوراء عائدين إلى زنازينهم وقد أدركوا أن مهمتهم قد انتهت..

وأمسك الجنرال أهارون بماجد من كتفيه صائحاً في لهفة: أين أخفيت هذه الوثائق؟

فتح ماجد عينيه في مشقة مغمغماً في صوت واهن: إنها.. في.. الـ..

ثم انهار وسقط على الأرض فاقداً الوعي قبل أن يكمل عبارته.. ودماؤه تنزف.. وانحنى أحد الضباط يتحسس نبض ماجد، ثم التفت إلى رئيسه في هلع قائلاً:

-إن نبضه ضعيف.. وإذا تركناه هكذا فسوف ينزف ويموت خلال دقائق.

التمعت عينا الجنرال بغضب وقسوة وقال: لا إنه لن يموت قبل أن يخبرني بمكان الأبحاث.

وصاح في رجاله: أسرعوا باستدعاء سيارة إسعاف لنقله إلى مستشفى السجن فورا.

فاندفع الضباط لاستدعاء السيارة.. وحزّ الجنرال على أسنانه وهو يقول في صوت مخيف: سوف يعيش هذا المصري ليخبرني بمكان الأبحاث.. وبعدها..

وأطلق ضحكة دموية..

ضحكة شيطان!

اتفاق.. وخيانة

اندفعت سيارة الإسعاف تشق طريقها بسرعة إلى داخل مستشفى السجن القريبة..

وبعد لحظات كان ماجد راقداً فاقد الوعي داخل إحدى الحجرات وأحد الأطباء يقوم بفحصه وتدليك صدره بعد أن قام بتضميد جراحه.. ثم التفت إلى ضباط «الشين بيتِ» قائلا: إن الحالة ليست خطيرة، فسوف يتعافى هذا الشاب بعد وقت، ولكنه يحتاج إلى ٢٤ ساعة على الأقل من الراحة التامة. لكي تعود دقات قلبه للانتظام.. وهو لن يستعيد وعيه قبل ساعات على أي حال.

قال أحد الضباط وهو يتجه خارجاً من الحجرة: سوف نتصل بالجنرال أهارون لنسأله ما نفعل.

وعاد بعد دقائق وقال لزملائه: إن الجنرال غاضب وهو يرغب

في استجواب هذا المصري بعد إفاقته.. وقد أمرني أن يبقى اثنان منا أمام مدخل الحجرة لحراستها احتياطياً ولإبلاغه لحظة إفاقة السجين.. فالجنرال يخشى أن يقوم بعض العملاء العرب بمحاولة اختطاف هذا العميل وتهريبه خارج إسرائيل.

قال أحد الضباط ساخراً: إن هذا مستحيل، فحتى لو كانت لهم أجنحة فسيستحيل عليهم مغادرة المستشفى المحاطة بالحراسة والأسوار في كل ركن.. هذا بالإضافة إلى أن تلك الإسوارة الإلكترونية حول معصم السجين تكشف لنا حركته حتى لو غادر فراشه وذهب إلى دورة المياه.. وستجعلنا نصل إلى مكانه ولو كان في الجحيم!

وغادر الضباط الحجرة، وبقي أثنان منهما أمام بابها المغلق وأيديهما فوق أسلحتهما تأهبا.. وأحدهما يحدق في الجهاز الذي يكشف حركة صاحب الإسوارة الإلكترونية بحيث يستحيل عليه مغادرة فراشه دون أن يكشف الجهاز تلك الحركة!

وقال احد الضابطين لزميله في قلق: أما كان يجب تقييد

هذا المصري إلى فراشه كبقية السجناء الذين نأتي بهم للمستشفى .

أجابه زميله وهو يتثاءب : إنه لن يفيق قبل ساعات طويلة كما قال الطبيب، وحتى عندما يفيق فلن يتمكن حتى من مغادرة فراشه بعد كل الضربات التي نالها هذه الليلة .

وبعد لحظات وعندما اطمأن ماجد تماما فتح عينيه . .

وارتسمت في عينيه نظرة قاسية باردة . .

نظرة ساخرة إلى أقصى حد . . نظرة ثعلب أجاد خداع صياديه . .

كان رجال « الموساد » قد فتشوه حقا عندما سقط في أيديهم . . ولكنهم لم يتنبهوا إلى تلك الأقراص الصغيرة التي أخفاها في ياقة سترته . . وكان واحد منها فقط كفيلا بجعل قلبه يتباطأ في نبضه بحيث يبدو كما لو كان في حالة خطيرة تستلزم نقله للمستشفى . . وأن قلبه سيتوقف عن النبض حالا !

وكان لحسن الحظ أن الجنرال أهارون أصر على إرسال مزيد من المساجين لعقابه . . وكان في استطاعة ماجد أن يذيقهم

جميعاً آلاما لا تطاق ويتركهم محطمي الأيدي والأقدام. ولكن خطته كانت تستدعي أن يتظاهر بالهزيمة وأن يترك أولئك الأوغاد يصيبونه ببضع ضربات طائشة لكي تكتمل ويتم نقله للمستشفى.

وتطلع حوله في حذر متفحصاً أركان الحجرة، واكتشف سريعاً أنها تخلو من أي كاميرات تليفزيونية لمراقبة المرضى المساجين، فالتمعت عينا ماجد بنظرة ساخرة وغمغم لنفسه:

-إنهم لم يتوقعوا أن يفكر أحد المرضى في خدعة ما، ولذلك لم يزودوا المكان بكاميرات سرية.

وهو ما يثبت أن خيال هؤلاء الأوغاد ليس نشيطاً بالقدر الكافي!

ودس يده في جيبه والتقط مفتاحا مغناطيسياً دقيقاً.. مفتاح إسوارته الإليكترونية!

وكاد يطلق ضحكة وعقله يسترجع ما حدث.. وكيف تعمد احتضان الجنرال أهارون مستنجداً به، في الوقت الذي كان يقوم فيه بالاستيلاء على المفتاح المغناطيسي من جيبه..

كانت هناك مهمة محددة لماجد داخل المستشفى ولذلك سعى لدخولها بكل الحيل.

وكان عليه تنفيذ تلك المهمة في الحال.

ودس المفتاح المغناطيسي داخل قفل الإسوارة الإليكترونية فانفتح قفلها وتحرر معصم ماجد منها.. فوضع الإسوارة على الفراش في هدوء.. ثم غادر فراشه وتحرك إلى النافذة القريبة.. وكانت بلا قضبان حديدية تسدها.. وغمغم ماجد بسخرية أقسى:

- وهذا خطأ ثانٍ.. فلا يصح ترك نافذة سجين بلا قضبان، ولو كانت تعلو الأرض بعشرة طوابق ويقيم فيها سجين لا ينبض قلبه بالقدر المطلوب!

وأطل ماجد لأسفل، وأدرك أن حجرته تقع في الطابق السادس، وكان هناك أفريز ضيق يمتد تحت نوافذ الطابق بأكمله، وقد ظهرت على مسافة السور المحيط بالمستشفى وحوله حراسة قوية.. وقد راحت الكشافات العريضة تمسح المكان بنورها..

وقفز ماجد فوق الأفريز وتحرك في حذر، كانت أقل حركة



خاطئة يمكنها أن تسقطه من أعلى فيلقى حتفه على الفور. وكان عليه الوصول بسرعة إلى المكان الذي يرقد فيه أنطوني ألبرتو..

وكان هو الهدف الذي سعى لدخول المستشفى لأجله!

وقفز إلى داخل حجرة رئيسة الممرضات.. كانت الحجرة خالية ودفتر النزلاء فوق المكتب.. وبسرعة قلب ماجد الدفتر وعثر أخيراً على مكان أنطوني.. كان يرقد في الطابق السابع بقسم الكسور.. وغادر الحجرة في اللحظة التي حطت فيها رئيسة الممرضات داخله..

ووقف مكانه فوق الأفريز وهو يكتم أنفاسه.. ولكن لحسن الحظ فإن المرأة البدينة لم تلاحظ شيئا..

وتلفت ماجد حوله فلمح عمودا من الخرسانة المسلحة بطول المبنى.. كان هو وسيلته الوحيدة للصعود في خفية إلى الطابق الرابع فتسلقه سريعاً في خفة.

وقفز إلى حجرة أنطوني أخيراً.

كان الإيطالي راقداً فوق فراشه وقد ظهرت آثار التعذيب

الشديد على وجهه وذراعيه، وربطت ساقه في الجبس، وقد راح يئن من الألم وهو مشوش الوعي.

وتنبه الإيطالي على صوت الخطوات المتسللة وفتح عينيه فشاهد ماجد أمامه فكاد يطلق صرخة فزع، فأشار له رقم (٧٠٠) ألا ينطق.. واقترب منه محاذرا والإيطالي يحدق فيه بذهول بالغ..

وغمغم أنطوني في ذهول بالغ: من أنت.. وكيف دخلت إلى هذه الحجرة؟

تحسس ماجد نبض أنطوني وقال: لنبدأ بإجابة النصف الثاني من السؤال فأجيبك أنني جئت عن طريق النافذة.. ولا يشغلك كيف فعلت ذلك فأحيانا تنبت لي أجنحة غير مرئية تحملني إلى أي مكان.. أما بقية السؤال فلا شك أنك استنتجت أنني صديق.. وكل ما أريده منك الآن هو أن تكون جاهزاً في الصباح لمغادرة هذا المكان القذر..

غمغم الإيطالي في ذهول: ولكن كيف؟

ربت ماجد على رأس أنطوني قائلاً: لا يشغلك هذا

الأمر ودع كل شيء لي.. والآن وداعا وأحلاماً طيبة.. لقد سررت برؤيتك والاطمئنان عليك.. والآن أتمنى لك أحلاماً سعيدة.

وأسرع ماجد إلى النافذة وقفز إلى إفريزها الضيق مرة أخرى، واختفى شبحه من النافذة، وراح الإيطالي يحدق في النافذة بذهول عميق متسائلا إن كان ما يراه حقيقة أم خيالا، وكيف تمكن ذلك الشاب من دخول حجرته عبر النافذة كأنما له جناحان، في الوقت الذي دارت فيه رأسه وأوشك أن يسقط لأسفل وهو يلقي نظرة على فناء السجن من مكانه داخل حجرته!

وعاد ماجد إلى فراشه، وما كاد يتمدد فوقه ويضع الإسوارة الإليكرونية مكانها حول معصمه حتى انفتح باب الحجرة وظهر الجنرال أهارون في مدخله وخلفه بعض الضباط و.. وأحد الأطباء.

واقترب الجنرال من ماجد وراح يهزه في عنف صائحاً: أنت أيها الشيطان المصري.. هيا استيقظ.

ولكن القرص الثاني الذي كان ماجد قد تناوله قبل لحظات

كان كفيلاً بجعله يبدو أقرب إلى الجثة الهامدة، فراح الجنرال يهزه في عنف وغضب صارخاً: هيا استيقظ أيها الوغد، فإن الوقت يمر ولن أستطيع انتظارك حتى تفيق على مهلك.

وتحسس الطبيب ذراع ماجد ثم قال للجنرال مقطبا: لقد عاد نبضه يتضاءل مرة أخرى.. ولا شك أنه لن يفيق مهما حاولنا قبل ساعات في الصباح.

فزفر الجنرال بغضب وعيناه تشتعلان باللهب، ثم غادر الحجرة وخلفه الحارسان والطبيب.. وعندما انغلق الباب خلفهم ارتسمت ابتسامة عريضة فوق شفتي ماجد..

ابتسامة ثعلب ماكر..

وكان يعرف أن الصباح سيأتي بأحداث مثيرة وأن عليه أن يكون في قمة نشاطه وتيقظه.. فاغمض عينيه واستسلم للنوم سريعا.

وأفاق بعد ساعات.. ونور الشمس الباكرة يغمر الحجرة..

وتنبه إلى أصوات العراك خارج الحجرة..

كان الصوت لشخصين يتجادلان في عنف وغضب.. وميز

ماجد الأصوات سريعاً.. كان أحدهما هو الجنرال أهارون والآخر هو الجنرال شامير..

وابتسم ماجد في سخرية وهو يقول لنفسه: ها قد راح الصيادان يتعاركان على الفريسة وكل منهما يريد شواء لحمها، من قبل سلخها!

وصاح الجنرال أهارون: إنك لن تحصل على هذا المصري قبل أن أستجوبه بنفسي.

فأجابه الجنرال شامير بسخرية: لقد كان أمامك الليل بطوله لتفعل ذلك.. والآن فليس عليك سوى تنفيذ الأوامر العليا ومغادرة المستشفى والعودة إلى السجن مع رجالك.. فستتولى قواتنا منذ هذه اللحظة مهمة حراسة واستجواب هذا المصري داخل مستشفى السجن.

فغمغم الجنرال أهارون بكلمات سباب وهو يلعن ساخطاً.

ومرت لحظة صمت بعدها أعقبتها أصوات خطوات في الممشى أمام الحجرة، فأدرك ماجد أن الجنرال أهارون استسلم للأوامر وغادر المكان مع رجاله..

وانفتح باب الحجرة بعد لحظة وظهر الجنرال شامير في مدخله وخلفه عدد من ضباط «الموساد».. وعندما شاهد ماجد مستيقظا فوق فراشه هتف: لقد استيقظت أخيراً بعد كل تلك المحاولات التي بذلها عزيزنا أهارون لإيقاظك دون فائدة.. فيا لي من حسن الحظ!

مط ماجد شفتيه في استياء قائلا: ويا لي من سيِّئ الحظ، فإن أول ما طالعني هذا الصباح هو وجهك.. وهو فال سيِّئ لا مزيد عليه!

مال الجنرال شامير على ماجد بوجه يشتعل غضباً، وهمس في صوت كالفحيح:

- لم تعد هناك جدوى من هذه الألاعيب.. فإن عليك أن تخبرني بمكان تلك الأبحاث التي أخفيتها. وإنني أعدك بشرفي أنك لو فعلت ذلك فستضمن حياتك.. وأنا مستعد أن أمنحك حريتك أيضاً وأنفذ كل ما تشاء من طلبات.. فما هو رأيك؟

تظاهر ماجد بالتفكير لحظة ثم التفت إلى الجنرال مقطباً وقال له: يبدو أنه لا فائدة من الإنكار والتحايل، سوف أخبرك

يا عـزيزي بمكان تلك الأبحـاث، بشـرط أن تأتيني بطائرة هليكوبتر تنتظر في فناء المستشفى.. وعندما أخبرك بمكان الأبحاث وتعثر عليها تأمر رجالك بتركي أغادر هذه البلاد بتلك الطائرة!

وأضاف بابتسامة عريضة: وأتوقع أن تكون كريما معي أيها الجنرال فتترك لي بضعة ملايين داخل تلك الطائرة، فلا بد أنك تتوقع أنني لن أستطيع العودة إلى مصر ثانية بعد أن وضعت يدي في يدك.. لأنهم هناك سيسلخون جلدي ولن يجعلوني أرى ضوء الشمس مرة أخرى.

هتف الجنرال: مـرحى. إنه عـرض رائع وأنا أوافق عليـه.. ويعجبني أنك أدركت أن جانبنا هو الأقوى فانضممت إليه.. وسوف أمنحك طائرتي الخاصة لتغادر بها هذه البلاد بعد ذلك، واعتبرها هديتي لك بالإضافة إلى عشرة ملايين دولار أخرى بداخلها لتنفقها في اي مكان في العالم ترغب الذهاب إليه.

والتفت إلى رجاله قائلاً: أحضروا طائرتي الهليكوبتر إلى فناء المستشفى فورا.

وبعد دقائق كانت الطائرة تهبط في فناء السجن.. فراقبها الجنرال من مكانه خلف نافذة حجرة ماجد، والتفت إليه قائلاً: لقد حققت لك رغبتك.. والآن.. أين أخفيت تلك الأبحاث؟

تلاعبت ابتسامة ماكرة على شفتي ماجد وقال: إنها في آخر مكان يمكن أن يخطر على بالك يا سيدي الجنرال.. فهي لا تزال في مكانها داخل خزانتك!

بهت وجه الجنرال وقال في ذهول: ماذا.. هذا مستحيل؟

أجابه ماجد في سخرية قاسية: بل هي الحقيقة.. فعندما اكتشفت أن وجودي افتضح في مبنى «الموساد» وأنا أحاول اقتحام خزانتك، تأكدت أنني لن أتمكن من مغادرة المبنى بالأبحاث، وفكرت في أفضل مكان لاخفائها لكي أعود وأستعيدها بعد ذلك، ولم يكن هناك أفضل من إعادتها إلى الخزانة في ذلك الدرج السري تحتها! فقد كنت أتوقع أنكم ستبحثون عنها في كل مكان عدا المكان الذي كان يحتويها من قبل!

اتسعت عينا الجنرال في ذهول بالغ وقال: يا لك من

شيطان.. إنه المكان الوحيد الذي لم نبحث فيه بالفعل.. وكان من المستحيل علينا أن نبحث فيه أبداً أو نشك أنك أعدت الأبحاث لنفس المكان!

واندفع إلى باب الحجرة متلهفاً وهو يقول لماجد: سوف أعود إلى مكتبي حالا.. وما أن أعثر على هذه الأبحاث حتى أعطي أوامري لرجالي بالسماح لك بركوب طائرتي ومغادرة البلاد.. وسوف تصل النقود بعد قليل من أقرب بنك لتتنعم بها بعد ذلك في أي مكان بالعالم.. فوداعا يا صديقي.

مد ماجد يده إلى الجنرال شامير قائلا: فلنتصافح تأكيدا على ذلك.

مد الجنرال يده مصافحاً ماجد وهو يقول في ابتهاج: يسعدني أنك قبلت صداقتي أخيراً.

فاحتضنه ماجد في ود قائلا: لقد أقنعتموني بطريقتكم الخاصة بأن أضع يدي في أيديكم لضمان حياتي وسلامتي!

فتأمله الجنرال في سرور واضح قائلا: لقد أسعدتني رؤيتك حقاً أيها المصري.. وإذا ما فكرت في العمل معنا في «الموساد» يوما ما، فثق أننا سنرحب بذلك بشدة.

وغادر الجنرال الحجرة، وخلفه ضباطه، وبعد أن غادروا حجرة ماجد، التفت الجنرال إلى أحدهم هامسا: ضع حراسة قوية خارج حجرة هذا المصري اللعين، وعندما أخبركم من مكتبي بعثوري على تلك الأبحاث داخل خزانتي، فعليكم إطلاق ألف رصاصة في قلب هذا المصري!

فأومأ الضابط برأسه بنعم واندفع مع عدد من رجاله لتطويق الباب المغلق لحجرة ماجد. واندفع الجنرال إلى داخل سيارته ليغادر بها أبواب مستشفى السجن.

ومن نافذة حجرة ماجد ألقى نظرة على سيارة الجنرال التي تحركت خارج السجن.. ثم ألقى نظرة إلى معصمه.. كان خالياً من الإسوارة الإليكترونية التي دسها في جيب سترة الجنرال شامير وهو يحتضنه، دون أن يتنبه ضابط «الموساد» لتلك الخدعة البارعة من ماجد.. وكان رقم (٧٠٠) يعرف بأنه بذلك قد أرسل الجنرال السفاح إلى الجحيم دون أن يدري ذلك الوغد أن مصافحة ماجد له، كانت مثل قبلة الموت!

وارتسمت في عيني رقم (٧٠٠) نظرة قاسية.. وهمس

لنفسه في صوت عميق : ـ الآن ستلاقي عقابا قاسيا أيها الوغد القذر على كل ما ارتكبته يداك من شرور وآثام!

وكان على ماجد أن يعمل بسرعة لمغادرة حجرته.. فقد كان يعرف أن المتبقى له دقائق قليلة.. قبل أن ينقلب مستشفى السجن إلى جحيم.. وتندفع قوات الجنرال شامير والجنرال أهارون نحوه في جنون طالبين شيئا وحيداً.. رأسه!!

***

الهروب من الجحيم

ومن مكانه الذي اختفى فيه الجنرال أهارون بالقرب من مدخل مستشفى السجن مع عدد كبير من رجاله الذين وزعوا داخل عرباتهم المدرعة، راح الجنرال أهارون يراقب أبواب مستشفى السجن في غضب.. وغمغم في غيظ عندما شاهد سيارة الجنرال شامير تغادر المكان: هذا القذر شامير لا بد أنه قد حصل على الثمرة ناضجة وليس عليه غير قطفها.. ولا شك أنه أستطاع إقناع هذا الشيطان المصري بإخباره عن مكان الأبحاث، وإلا ما غادر المستشفى سريعا.

فجأة اندفع أحد الضباط إلى عربة الجنرال وصاح فيه: سيدي.. إن الإشارات التي تبثها الإسوارة الإلكترونية تدل على أن صاحبها يتحرك بها.. لقد غادر السجن توا الآن! اتسعت عينا الجنرال ذهولا وغمغم: ماذا.. هذا مستحيل.. إن أحداً لم

يغادر السجن الآن غير الجنرال شامير في سيارته ولا يمكن أن يكون ذلك الشيطان المصري معه و . .

وتوقف عن الحديث وقد زاد اتساع عينيه، وصرخ في صوت لاهث، إنها خدعة . . لقد ارتدى هذا الشيطان المصري زي الجنرال شامير، ولعله حصل على قناع بنفس ملامح الجنرال من مكان ما وارتداه ليخدعنا بأنه الجنرال وغادر مستشفى السجن ولكن تلك الإسوارة التي تحيط بمعصمه قد فضحته وجعلتنا نكتشف أمره لحسن الحظ.

وصاح في رجاله: أسرعوا بمطاردة سيارة هذا الوغد وانسفوها قبل هربه . .

وفي الحال هدرت المصفحات والمدرعات وعشرات السيارات المحملة بالجنود . . وانطلقت خلف سيارة الجنرال بكل سرعتها.

وفوجئ الجنرال بالمدرعات التي سدت الطريق عليه وعشرات الجنود يحاصرونه، فأخرج رأسه من نافذة سيارته وصاح غاضباً: أيها المجانين . . ما الذي تفعلونه . . ألا تعرفون من أنا؟

فصاح به الجنرال أهارون: غادر سيارتك أيها القذر . . إن

حيلتك لن تنطلي علينا.. ونحن نعرف حقا من تكون أيها المخادع!

زمجر الجنرال شامير في غضب: يبدو أن الجنون قد أصاب الجميع، ولا وقت لديَّ لإضاعته مع هؤلاء الأوغاد.. وليس أمامي غير وسيلة واحدة لمغادرة هذا المكان.

واندفع بسيارته ليمرق بين سيارتين مصفحتين ويطيح باثنين من الضباط.. وفي اللحظة التالية دوت عشرات الطلقات فهشَّمت زجاج سيارة الجنرال واخترقت جسده، فانتفض بشدة وسقط وجهه فوق عجلة القيادة وقد اخترقت رأسه عدة رصاصات.. واندفعت السيارة لتصطدم بحائط قريب في عنف ثم توقفت مكانها..

واندفع ضباط وجنود الجنرال أهارون ليخرجوا جثة الجنرال شامير من حطام السيارة قبل انفجارها.. وقد حولها الرصاص إلى منخل.. وهتف الجنرال أهارون في رجاله:

- انزعوا القناع عن وجه هذا المصري اللعين.

ولكن.. لم يكن هناك أي قناع فوق وجه صاحب الجثة.. وغمغم الجنرال أهارون في ذهول: ولكن هذا مستحيل.. إن

معناه أن هذه الجثة للجنرال شامير حقا.. ولكن تلك الإسوارة الإليكترونية؟

ومد يده يكشف معصم الجنرال.. ولكنها كانت خالية من الإسوارة.. وسرعان ما عثرت أصابعه عليها داخل جيب سترة الجنرال.

وحملق أهارون في الإسوارة بعينين جاحظتين.. وأدرك أخيراً الخدعة التي سقط فيها مثل دب جاهل..

وصرخ في جنون: هذا الشيطان المصري.. أقسم أن أمزق جثته إلى ألف قطعة.

وهب واقفا مواصلا الصراخ في جنوده: أسرعوا باقتحام مستشفى السجن والقبض على هذا المصري.. فلا شك أنه يخطط للفرار من هذا المكان.

فغيرت المصفحات والمدرعات وجهتها صوب مستشفى السجن مرة أخرى.

ومن داخل حجرة أنطوني ألقى ماجد نظرة إلى بوابة المستشفى فشاهد عشرات الجنود وهم يقتحمونها، فالتفت إلى أنطوني قائلا: هل انتهيت من ارتداء ملابسك؟

أجابه أنطوني: إن ملابس الأطباء التي أحضرتها لي واسعة قليلا.. ولكن لا بأس بها..

وتأمل الإيطالي ماجد في ملابس الأطباء وقال باسما: إنك تبدو كطبيب حقيقي.. وحتى طريقتك في نشر الجبس من حول ساقي لتدل على نبوغك.

ماجد: هيا نغادر حجرتك، فلا شك أن الطبيبين اللذين حصلت على ملابسهما وألقيتهما برؤوس مشجوجة في إحدى دورات المياه قد ملآ الدنيا ضجيجاً وصراخاً بما فعلته بهما.

وعلت أصوات طلقات الرصاص في الخارج، لقد تضاعف الضجيج سريعاً.. وأعتقد أنني لو تأخرت في الظهور قليلا فربما ينسفون المستشفى بأكمله بالصواريخ ليتخلصوا مني!

وفتح ماجد باب الحجرة وفي الحال قفز جندي الحراسة شاهرا سلاحه في وجهه مزمجرا: إلى أين أنت ذاهب أيها الإيطالي و..

وخرس الحارس عندما تبين وجه ماجد الذي قال له: إنني لست إيطاليا يا عزيزي.. وعليك تقديم واجب الاعتذار حالا!

ولكن أصابع الحارس تحركت فوق زناد مدفعه الرشاش.. وكانت حركة ماجد أسبق، فهوى بقبضته فوق وجه الحارس الذي ترنح بعنف فجذبه ماجد للداخل، وبضربة أخرى على رأسه تهاوى الحارس على الأرض دون حراك. واستولى ماجد على سلاحه فأخفاه تحت معطفه الذي يرتديه، وتحرك مغادرا الحجرة وأنطوني خلفه وقد نكسا وجهيهما لكي لا يكتشف أحد حقيقتهما..

وتوقفا أمام باب المصعد، وانفتح الباب في اللحظة التالية كاشفاً عن عشرة ضباط مسلحين وأحدهم يقول في انفعال: لقد اختفى المصري من حجرته ولعله صعد إلى حجرة الإيطالي و..

وبهت الضابط عندما وجد ماجد أمامه وجها لوجه.. وامتدت يده الى سلاحه.. ولكن حركة ماجد كانت أسبق ككل مرة فضغط على زر إغلاق المصعد.. فانغلق بابه في اللحظة التي ارتشقت عشرات الرصاصات فيه وهو يصعد بركابه لأعلى..

وصاح ماجد في أنطوني: ليس أمامنا غير الهبوط على السلم.

واندفع الاثنان يهبطان السلالم مسرعين وأنطوني يعاني من بعض الآلام في ساقه التي لم تلتئم بعد..

وأطلق ماجد بضع رصاصات فرقت الجنود الذين كانوا يهمون باعتراضهم وأسقطتهم على الأرض مصابين.. وتعالت الصرخات من المرضى والممرضات والأطباء وهم يهربون في كل اتجاه.. وأخيراً وصل ماجد وأنطوني إلى الطابق الأرضي للمستشفى.. وأسرعا يتواريان خلف أحد الأركان.

وسمعا أحد الضباط يقول لزميله: لقد هرب المصري والإيطالي من حجرتيهما.. وهما يرتديان زي الأطباء.

وجاءه صوت من الخلف يقول له: ولكن ذلك الزي متسع قليلا.. ومن ثم يلزم لنا تغييره.

التفت الضابطان للوراء مندهشين.. وفي الحال عملت ذراعا ماجد بطريقة رائعة، فأحاطت برأسي الضابطين ودفعتهما معا بقوة، فاصطدم رأساهما بعنف شديد في صوت مثل تحطم جوزة الهند، وتهاوى الضابطان فاقدي الوعي فسحبهما ماجد إلى ركنه وهو يقول: إن رؤوس هؤلاء الضباط هشة حقا. وهو أمر نشكر عليه الظروف وجيش الدفاع!

وأشار إلى أنطوني قائلا: لنسرع بتغيير ملابسنا بملابس هذين الضابطين.. فهم يبحثون عنا في ملابس الأطباء.. ولحسن الحظ إن خيالهم لن ينشط في أي اتجاه آخر!

وقبل دقيقة كانا قد بدلا ملابسهما.. وأرخيا قبعتي الضابطين لتخفيا نصفي وجهيهما، واندفعا نحو الطائرة الهليكوبتر دون أن يعترضهما أحد من الضباط والجنود الذين تدافعوا في كل مكان بدون انتظام. وهمس ماجد لأنطوني: لقد أقنعت هذا الجنرال الأحمق شامير بإحضار طائرته الهليكوبتر لنغادر بها إسرائيل فأتى بها ليخدعني ويوهمني أنه استجاب لطلبي، وهو يخطط لقتلي حالما يحصل على الأبحاث، ولو أنه كان ذا خيال خصب حقا، لوضع احتمالا ولو واحداً في المليون أنني سأستخدم تلك الطائرة في مغادرة هذا الجحيم بالفعل!

وكان هناك ثلاثة من الجنود واقفين لحراسة الهليكوبتر، فاقترب منهم ماجد قائلا لهم:

- إن الجنرال أهارون يطلبكم فورا في حجرة مكتبه بالمستشفى!

فانتفض الجنود وأدوا التحية لماجد واندفعوا مهرولين بعيدا.. ثم توقفوا بعد لحظة ذاهلين وقد تذكروا أن الجنرال ليس له أي حجرة مكتب داخل مستشفى السجن!

واستدار الجنود الثلاثة وهم يزأرون.. ولكنهم فعلوا ذلك متأخرين.. ففي نفس اللحظة شاهدوا مراوح الهليكوبتر وهي تدور بقوة والطائرة تستعد للإقلاع..

وصرخ الجنود في صوت واحد: إن السجينين يهربان في طائرة الجنرال! ولكنهم فعلوا ذلك متأخرين.. ففي نفس اللحظة ارتفعت الطائرة عاليا وحلقت فوق السجن..

ودوت طلقات الرصاص من أسفل بالآلاف نحوها.. ولكن الهليكوبتر كانت قد ارتفعت عاليا بحيث لا تطولها أي رصاصات. ووجه ماجد الهليكوبتر جنوبا وهو يقول لأنطوني:

- إننا لا نبعد عن حدود سيناء كثيراً وستقطع الهليكوبتر هذه المسافة في حوالى ربع ساعة.. وأرجو أن نكون سعداء الحظ فنتمكن من قطعها في سلام قبل أن تعترضنا الطائرات المقاتلة الإسرائيلية التي يلزم لها عشر دقائق فقط لتحلق في الجو لمطاردتنا وقطع طريق الهروب علينا.



أغمض أنطوني عينيه في قوة ثم فتحهما، وحدق في ماجد والهليكوبتر وتمتم ذاهلاً:

-إنني لا أكاد أصدق ما أراه. فقد ظننت أن نهايتي ستكون على أيدي «الموساد»، وأنني لن أغادر سجنهم إلا إلى القبر.

ابتسم ماجد وهو يجيبه قائلا: إنني لست من أنصار المتشائمين يا عزيزي.. فقد كان هناك احتمال واحد في المليون بنجاح هذه العملية من أجل إعادتك سالما إلى مصر.. وها أنت ترى أن هذا الاحتمال قد تحقق!

حملق أنطوني في ماجد بدهشة أكبر، وابتلع لعابه بصعوبة قائلا: ولكني لست أفهم كيف وصلت إلى «تل أبيب» وكيف قبضوا عليك وأرسلوك إلى السجن والمستشفى؟

أجابه ماجد وهو يبتسم ابتسامة عريضة: لقد تقمصت دور أحد ضباط «الموساد» وعدت إلى «تل أبيب» متنكرا في شخصيته، وتعمدت أن أخطئ أمام الجنرال شامير بطريقة فاضحة لكي أجعله يشك في أمري ويعرف أنني مزيف، ولو كان هو بارع الذكاء حقا لأدرك أن شخصا مثلي لا يمكنه أن يخطئ بمثل تلك الطريقة!

تضاعفت علامات الذهول على وجه الإيطالي وقال: ولكن لماذا تعمدت أن تخطئ أمامه؟

ماجد: كان لذلك هدف واحد، أن أدفعه لمطاردتي والقبض علي ثم إرسالي إلى السجن للتحقيق معي.. فأكون قريبا منك وأتمكن من الوصول إليك وإنقاذك بطريقتي الخاصة.

اتسعت عينا أنطوني ذهولا وقال: ولكن.. كان يمكن للجنرال شامير أن يقوم بقتلك بعد القبض عليك.

هز ماجد رأسه نافيا وقال: لا.. إنه ما كان يستطيع أن يفعل ذلك لأنني أخفيت الأبحاث التي سرقتها من خزانته، وهو ما كان يستطيع المغامرة بقتلي قبل حصوله على هذه الأبحاث، وعندما فشل في استجوابي كان لا بد له أن يرسلني إلى سجن «الموساد» خشية من هربي..

وهناك تمكنت من الوصول إليك في المستشفى بعد أن ساعدني بعض المسجونين الأوغاد في تحقيق غرضي دون أن يدروا!

وأطلق ماجد ضحكة عالية ساخرة وهو يضيف: لقد أضاع الجنرال شامير وقتا ثمينا في البحث عبثاً عن أوِراق الأبحاث

واستجوابي لمعرفة مكانها، دون أن يدري هذا الأحمق أنني ألقيتها في النيران التي أشعلتها بحجرة الكمبيوتر في مبنى الموساد فأتت عليها جميعا ولم تترك منها غير الرماد!

حملق أنطوني في ماجد بذهول عميق وهتف في صوت مبحوح: - يا إلهي.. إنني لا أكاد اصدق أنك فعلت كل هذه الأشياء وتمكنت من خداع الجميع بتلك الطريقة الجهنمية، وإننا نوشك على الوصول الى حدود مصر حقاً!

أجابه ماجد في صوت عميق: ليس بعد يا عزيزي.

وأشار إلى بضع نقاط راحت تقترب سريعاً من الخلف وأضاف: ها قد لحقت بنا المقاتلات الإسرائيلية في الموعد المضبوط.. وأمامنا خمس دقائق فقط لنصل إلى الحدود المصرية، وسنكون محظوظين حقا إن تمكننا من البقاء أحياء خلالها.

وكان ماجد على حق.. ففي اللحظة التالية انقضت على الهليكوبتر ثلاث طائرات «سوخوى» وهي تطلق صواريخها التي اندفعت تجاه الهليكوبتر في سرعة رهيبة..

وأغمض أنطوني عينيه وقد أدرك أنها النهاية!

هدية ثمينة

انطلقت الصواريخ الثلاثة تقودها رؤوسها المتفجرة الموجهة إليكترونيا نحو هدف وحيد.. الطائرة الهاربة.

ولكن ماجد لم يطرف له جفن.. كان يدرك أنه يقود أفضل طائرة هليكوبتر حربية يملكها جيش إسرائيل بأكمله.. بل وربما أفضل طائرة هليكوبتر حربية في العالم كله..

وضغط ماجد زرا للتشويش الإلكتروني، وفي اللحظة التالية بدا على الصواريخ الموجهة صوب الهليكوبتر الاضطراب وراحت ترتفع وتهبط، واصطدم أحدها بالآخر في دويٍّ شديد، أما الثالث فانحدر نحو سطح البحر وانفجر فيه..

وفتح أنطوني عينيه وهو يقول في ذهول: إنني لا أكاد أصدق ما يحدث أمامي.. إن هذه الصواريخ تبدو كما لو أن الجنون قد أصابها!

أجابه ماجد بابتسامة: لقد كان الجنرال شامير كريماً، فأهدانا برغمه طائرة مقاتلة تساوي سرب طائرات بأكمله. يمكنها أن تشتت عشرات الصواريخ والقذائف الموجهة إليها! وانطلقت ثلاثة صواريخ أخرى من طائرات السوخوي لم تكن أفضل حظا من سابقاتها..

وهتف ماجد: والآن حانت لحظة الهجوم. وضغط زرا إلى لوحة القيادة، وفي اللحظة ذاتها انطلق صاروخان من خلف الهليكوبتر، وانقضا على طائرتين من طائرات السوخوي، فانفجرت إحداهما في صوت رهيب، وتهشم جناح الثانية فاندفعت هابطة محترقة نحو الأرض..

وعندما أطلق ماجد صاروخين آخرين اندفعت بقية طائرات السوخوي هاربة.. وهتف أنطوني بفرح: لقد هزمنا هؤلاء الأوغاد.

ولكنه لم يكد يكمل عبارته حتى ظهرت في الأفق ست من طائرات الـ (اف ـ ١٦) لتقطع على الهليكوبتر الطريق، فقال ماجد: لقد بدأت المعركة الحقيقة.. فهذه الطائرات هي أحسن ما في الترسانة الجوية لليهود.

وضغط على عدة أزرار بلوحة القيادة أمامه قائلاً: سوف أحاول خلق مجال إليكتروني حولنا للتشويش على طائرات الـ (اف ـ ١٦).

وغمغم أنطوني وهو يراقب الطائرات المعادية: لقد فقدت الطائرات اتزانها بالفعل، ومن الواضح أن قادتها يبذلون كل جهدهم للسيطرة عليها.

التمعت نظرة قاسية في عيني ماجد وقال: إن عزيزنا شامير كان يعد نفسه ليشوش بطائرته على طائرات الأعداء، ولم يكن يظن أن سلاحه سيرتد ضد قواته.

وانطلقت بضعة صواريخ طائشة من الـ (اف ـ ١٦).. ومرق أحدها على مسافة سنتيميترات من الهليكوبتر.

وهتف ماجد: تبقت أمامنا كيلومترات قليلة لنصل إلى الحدود المصرية.. وسنكون حسني الحظ حقاً لو أننا تمكنا من اجتيازها سالمين.

وفجأة صرخ أنطوني، وارتجت الهليكوبتر بدوي شديد.. وظهر لهب مشتعل في أحد أركان الهليكوبتر، فصاح أنطوني: لقد أصبنا.

ماجد: تبقى أمامنا كيلومتر واحد للوصول إلى الحدود المصرية، ونحن لن نغادر هذه الطائرة قبلها لأي سبب.

وانقضت طائرات الـ (اف ـ ١٦) نحو الهليكوبتر.. وضغط ماجد على أزرار التشويش الإليكتروني، ولكن اللوحة بقيت على حالها، وقد ظهر واضحاً أن العطب قد أصابها.

وأدرك أن عليه أن يخوض معركته الأخيرة معتمدا على مهارته.. فمال بالهليكوبتر بزاوية حادة خطرة وهو يراقب ثلاثة صواريخ تطاردها في جنون..

وبذل ماجد كل مجهوده ليهرب من الصواريخ الجهنمية.. ثم التفت إلى أنطوني صائحا: سنقفز الآن. فقد وصلنا إلى الحدود المصرية.

وضغط على زر بجانب مقعده، فانفتحت أرضية الهليكوبتر، وقذفت بمقعدي ماجد وأنطوني بعيدا..

وفي اللحظة التالية أصابت الصواريخ الهليكوبتر فانفجرت بعنف وتناثرت في الفضاء..

وانفتحت مظلتا هبوط في مؤخرة مقعدي ماجد وأنطوني.

ولكن طائرات الـ (اف ـ ١٦) اندفعت خلفهما وهي تطلق آلاف الرصاصات. وصرخ أنطوني : سوف يقتلنا هؤلاء الأوغاد برصاصاتهم.

ولكن في اللحظة التالية اندفعت عشر طائرات مصرية مقاتلة من نفس الطراز لتعترض الطائرات الإسرائيلية التي اخترقت الحدود المصرية..

وفي الحال اندفعت الطائرات الإسرائيلية هاربة تطاردها قذائف الطائرات المصرية.. وراقب أنطوني الطائرات المصرية في ذهول وهو يهبط بمظلته لأسفل، وغمغم قائلا:

ـ لقد وصلت الطائرات المصرية في توقيت مناسب حقاً.. ونحن محظوظان دون شك!

وأخيرا لامست قدماه الأرض مع ماجد في نفس اللحظة على مسافة خطوات من فندق « طابا » على الحدود المصرية الإسرائيلية. فاندفعت من أسفل بعض سيارات الجيش والمخابرات إلى مكانهما وهبط من إحداها شخص في معطف ثقيل ونظارة سوداء وهو يدخن غليونه في لذة، واحتضن

ماجد الذي قال له ضاحكا: لقد حضرت طائراتنا في الموعد المضبوط يا سيدي.

أجابه «م» باسما: لقد كنا نراقب طائرتك منذ حلقت بها في سماء «تل أبيب» بواسطة الرادار وعيوننا هناك.. وأدركنا أنك ستكافح حتى اللحظة الأخيرة.. وكل ما فعلناه هو أننا قمنا باللمسة الأخيرة لإجبار هؤلاء الأشرار على الهرب في اللحظة الحاسمة.

وربت «م» فوق كتف أنطوني قائلا: لقد كنت بطلا برغم كل شيء.. فمرحبا بك في مصر.

فحملق أنطوني في «م» وهو يشعر كأنه في حلم، وغمغم: أنني مدين بحياتي لكم يا سيدي.

أجابه «م»: إننا لا نتخلى أبداً عمن يمد يد المساعدة إلينا. وقد تعرضت للاختطاف والسجن بسبب تعاونك معنا، فكان لزاما علينا أن نرد لك الجميل مهما تحملنا من مشاق ومخاطر.. والآن سيكون المناخ ملائما لك لتطبيق أبحاثك في هدوء في تطوير غواصاتنا، دون خوف من أي عدو.

وتوقفت سيارة دبلوماسية بفرامل حادة وهبط منها كارلو جيوفياني وأعضاء الوفد الإيطالي، فاشار «م» إلى إنطوني قائلا: ها نحن قد استعدنا خبيركم من أنياب «الموساد»، لتدركوا أننا كنا على حق في كل ما أخبرناكم به، ولتكتشفوا خدعة «الموساد» كاملة.

فاربد وجه كارلو وهو يصافح أنطوني وقال بغضب: سوف نعرف كيف تعاقب حكومتنا هؤلاء الملاعين.

واقترب ماجد من «م» ووجهه ينم عن تفكير عميق، وتساءل في بعض الدهشة: هناك سؤال كنت أود أن أطرحه عليك يا سيدي في القاهرة قبل سفري إلى «أسطنبول» لأحل محل الكولونيل موسى، وهو: لماذا أمرتني بالتخلص من أوراق الأبحاث بإحراقها في مبنى «الموساد» وعدم إخبار الجنرال شامير بذلك أبداً؟

تلاعبت ابتسامة خبيثة على وجه «م» وقال: ستعرف ذلك حالا.

وتطلع إلى السماء نحو طائرة هليكوبتر حلقت مقتربة، ثم هبطت مثيرة عاصفة من الرمال وهبط منها رجل نحيل يمسك

بحقيبة سوداء في يده بحرص، وقد أطبق بأسنانه على غليون أثري ثمين، واتجه إلى الرجل النحيل، اتجه إلى «م» مباشرة الذي قال لماجد باسما: أقدم لك سفيرنا في «روما» السيد عزمي فريد.

فصافحه ماجد في قوة وصمت.. ومد السفير الحقيبة التي يحملها إلى «م» قائلا: -وهانذا قد أحضرت معي تلك الأبحاث التي عهد بها إلينا أنطوني في روما.

اتسعت عينا ماجد بدهشة وتساءل: هل كانت لديك نسخة أخرى من الأبحاث؟

أجابه «م» وهو ينفث دخان غليونه متلذذا: لا.. لقد كانت هناك نسخة واحدة هي التي أحضرها سفيرنا الآن.. أما تلك الأخرى التي سافر بها سكرتير السفارة عزت الدمنهوري فلم تكن غير بضعة أوراق تحتوي على بعض الألغاز والحكايات مكتوبة بـ«الشفرة».. ولم يكن هناك أي خطر من وقوعها في أيدي «الموساد»، لأننا كنا موقنين أنهم لن يهدأوا قبل الحصول عليها.. فتركناها لهم ونحن نتظاهر بالهزيمة.. على حين كان سفيرنا في روما يعود خفية إلى

مصر بالأبحاث الحقيقية.. وذلك الجنرال الأحمق شامير يسعى طوال الوقت في جنون ليحصل منك على شيء لا قيمة له وقد دفع حياته في النهاية ثمنا لذلك.. ولعلك تدرك الان السر في إرسالنا للأبحاث مع الدبلوماسي الشاب الذي لا خبرة له في مثل هذه الأعمال.. فقد كان هذا طعماً.. وقد ابتلعته المخابرات الإسرائيلية في غباء منقطع النظير!

وربت على كتف ماجد مواصلا في قهقهة: ولهذا أمرتك بإحراق تلك الأبحاث المزيفة، حتى لا تكتشف الموساد الخدعة قبل عودتك سالما مع أنطوني.

رمق السفير المصري السيد «م» باسما وقال: كانت عملية رائعة يا سيدي.. وتقديرا لك فقد أحضرت لك قليلاً من التبغ الممتاز.. بالإضافة إلى أنني أهديك غليوني المحبب لديَّ تقديراً لكفاءتك غير العادية.

غمغم السيد «م» في خجل: إنني شاكر لك يا سيدي السفير.. وهي هدية رائعة بحق.. فكم تمنيت أن أمتلك مثل هذا الغليون الممتاز!

راقب ماجد السيد «م» وهو يتأبط ذراع السفير المصري، وهما يتجهان إلى الهليكوبتر ضاحكين، وشاعت ابتسامة هادئة فوق شفتيه.. فقد أدرك تلك اللحظة أن رئيسه يمتلك خيالا نادرا بحق.. وأنه صاحب العقل الجهنمي الحقيقي..

وتنهد في ارتياح بعد مغامرته الشاقة وقفز خلف رئيسه ومعهما ألبرتو والسفير المصري.. وحلقت الهليكوبتر عاليا فوق أرض سيناء الحبيبة.. ثم يممت وجهتها في طريقها إلى القاهرة.. فقد كان لا يزال هناك المزيد من المتعة التي تنتظره في القاهرة، عندما يخبر السيد «م».. الكولونيل الأسير موسى كنعان بأسرار ما حدث.. ثم يطلق سراحه بعد ذلك ليعود إلى «تل أبيب» ليخبرهم أي رجال يمتلكون عقولا رائعة في القاهرة.. ويعملون في صمت من أجل وطنهم العربي العزيز.

فقد كان الكولونيل موسى مجرد «عسكري» تافه فوق رقعة الشطرنج.. وهو لم تعد له أي قيمة.. بعد تحطم «الوزير»!!

الفهرس

العملية القادمة :

جزيرة الموتى

الآن.. ونحن في نهاية القرن العشرين.. فجأة يخرج من عباءة الماضي بعض القراصنة في شواطئ آسيا الجنوبية..

ومن «جزيرة الموتى» ينطلقون لينهبوا ويخربوا السفن ويقتلوا بحارتها.. وتفشل كل مخابرات العالم في كشف حقيقتهم والقبض عليهم.. ولكن رجلاً وحيداً يتصدى لهم في عقر دارهم.. فهل ينجح «ماجد شريف» في مهمته الخطرة؟

هذه العملية:

تأليف: مجدي صابر

أسوار الموت

يقع «ماجد شريف» أسيراً في قلب «تل أبيب»، فتبعث به «الموساد» الى قلب الجحيم خلف «أسوار الموت».. في ذلك السجن المخيف الذي لم يغادره أي سجين حياً.

فكيف سيتمكن رجل المهام الصعبة من تجاوز «أسوار الموت».. وتسديد ضربة قاصمة إلى «الموساد» في عقر دارها؟



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

BLUE BIRD




تحيا مصر